التحذير
من
المجازفة بالتكفير

لسليل بيت العلم والصلاح

السيد محمد بن علوي المالكي الحسنى

خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

الناشر

دار جوامع الكلم

ت : ٥٨٩٨٠٢٩

١٧ شارع الشيخ صالح الجعفرى ـ الدراسة ـ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمـد لله تعالى الذى قيض لهـذا الدين رجال إذا تمكن دعـاة السـوء وأدعيـاء الاصـلاح من بث نار الفـتنة بين المسلمـين وتكفـير كل من خـالفهم وخـالف مذهبـهم . قام أولئك الـرجال مدافـعيـن عن سمـاحة دينهم مـؤيدين ردودهم بكتاب الله تعـالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأقوال السلف الصالح .

وصلى الله تبارك وتعـالى على سيدنا محـمد وآله وسلم القائل فى حـديثه الشريف : « من قال لأخـيه يا كافر فقـد باء بها أحدهم » فـرمى المسلم بالكفر ليس بالشىء الهين ولهـذا حذر منه المعصـوم صلى الله عليه وآله وسلم حـيث قال « إلا أن تروا كـفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان » .

ولهذا قـام فضـيلة مولانا السـيد مـحمـد علوي المالكي الحـسني بشـرح خـطورة هذه الظاهرة الغـريبـة علـى مـجتـمـعنا الإسلامى فى كـتابه القيم « التحـذير من المجازفة بالتكفـير » وأتى فضيلته فى كتابه الكريم هـذا بما ورد فى كتاب الله تعالى وسنة نبيه

صلى الله عليه وآله وسلم من البراهين الساطعة التى تدعوا إلى عدم المسارعة إلى تكفير المسلمين وأيد كتابه ببعض الفتاوى والآراء القيمة لإخوانه الكرام من علماء المملكة ليكون الجميع فى هذا البلد المبارك بلد العلم والإيمان يداً واحدة فى وجه تيار الإرهاب والتكفير .

وإن مكتبتنا دار جوامع الكلم وهى تقوم بطبع هذا الكتاب ونشره لتلفت نظر إخواننا المسلمين إلى أن عدوهم يتربص بهم ويريد الانقضاض عليهم ولا داعى أبداً لأن يكفر بعضنا بعضاً طالما أن الجميع يشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمد رسول الله ولا يوجد بيننا والحمد لله تعالى من ينكر ما علم من الدين بالضرورة كالتوحيد والنبوات والحساب والجزاء والجنة والنار وهذه الأمور لا يعذر أحدٌ من المسلمين بالجهل بها .

والله تبارك وتعالى هو الهادى إلى سواء السبيل والحمد لله رب العالمين ،،

دار جوامع الكلم
ذو الحجة لعام ١٤٢٥
من هجرة بدر التمام صلى الله عليه وآله وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

بقلم أ.د/ علـــى جمعـــة

مفتي الديار المصرية

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه .. أما بعـــد

فقـد اطلعت على الكتاب الماتع ، الجـامع المانع ، الفائق الرائق ، المسـمى بـ « التحذير من المجازفـة بالتكفير » لسلـيل الدوحـة المحمدية وفـرع الشجـرة النبويـة ، السيـد محمـد علوي المالكي الحسني رضي الله تعالى عنه وعن آبائه .

فـوجدته تحـذيرا فى مـحله بأدلة تحكى ضـياء الشـمس سطوعا ، وبراهين تفجر من الحكمة ينبوعا ، لبلاء قد اشتد وذاع ، وأدى إلى حمق أتباع التكفير حتى ضل الضال منهم وضاع.

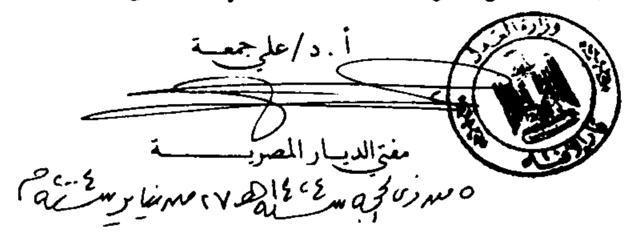
فالحـمد لله حيـث أقام مؤلفـه الشريف هذا التـحذير فى أوانه ، ولا غـرو فهو عـلامة عـصره وزمـانه ، وممن أقامـهم الله سبحانه وتعالى لإرشاد العباد ، وإصلاح الخلل والفساد.

ولما ابتليت البلاد الإسلامية بتـطرف التكفير حتى سالت الدماء ، وشاع هذا فى وسط طـغمة من الأغبيـاء ، ظنوا كما ظن

أسلافهم الخوارج أن معهم الدليل ، وأنهم بما يفعلونه يقومون بأمر جليل .

جاء كتاب العلامة العلوى ليبين أن أدلتهم ماهي إلا هراء .. وأن أعمالهم عند الله هباء ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾« الكهف ١٠٣ ـ ١٠٤ » وقال تعالى فى وصف أولئك : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴾ « الغاشية ٢، ٥ » وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾« البقرة ٢٠٤ـ٢٠٦ ».

فوجب على الناس أن يقرءوا هذا الكتاب لأبنائهم ، وأن يجعلوه فى مناهج درسهم ، ونسأل الله أن ينفع به كما نفع بكل كتب السيد الشريف ، وأن يشيد به له فى الجنة كل قصر منيف، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



بسم الله الرحمن الرحيم

« تقريظ »

بقلم أ. د/ **جوده محمد أبو اليزيد المهدى**
عميد كلية القرآن الكريم بطنطا

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .. وبعد

• فإن من أجَلِّ نعم الله تعالى على الأمة المحمدية أن قَيَّضَ لها فى كل عصر مَنْ يحفظ لها أمر دينها ، ويقيم لها ـ على هدى الكتاب والسنة ـ ميزان الحق ، بمنأى عن إفراط المغالين وتفريط الجاهلين ، وقد بيَّن ذلك سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم بقوله :

« لا تزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس »[(١)].

• وقد عانت أمتنا المحمدية فى هذا العصر من تطرف

(١) أخرجه الإمام أحمد والشيخان عن معاوية (انظر التخريج في : راموز الأحاديث للعلامة الشيخ أحمد ضياء الدين كمشخانوي : ص ٤٧٢ نشر مكتبة پاموق بتركيا

المغالين وتحريف الجاهلين الكثير والكثير ، حتى ادْلَهَمَّت المسالك والتبست الحقائق وطُمِسَتْ المعالم لدى السواد الكثير من الأمة بتأثير التطرف المذهبى والتعصب الفكرى الجامح ، فاستطار شرر التكفير والتشريك والتبديع وإهدار الدماءفى ربوع شتى من أقطار العالم الإسلامى ، وصار المسلم يكفِّرُ أخاه على مخالفته إياه فى فرع يسير من الأمور الفقهية التى تسامحت فيها المذاهب المعتدلة!

● بل لقد بلغ الأمر أن صار المتطرف يُخطِّئ أئمته فى مذهبه نفسه ، ويعرض عن اتساع آرائهم وتسامحها فى بعض المسائل الخلافية ليحقق مطمع الشيطان فى استعار أتون التكفير والتشريك وتفريق صفوف الأمة وإهدار وحدتها وأمنها ، وأصبحنا نرى فى الاتجاه المذهبى الواحد عشرات المسالك المختلفة والمتضاربة ، وكل فريق يزعم أنه على منهج أهل السنة وحده ، وما سواه ضلال وخروج على الدين!! واستشرى الخطر إلى تكفير مجتمعات بأسرها وإخراج حكامهم من ربقة الدين ! ومما زاد الطين بلة أن جُلَّ هؤلاء لا يُحْسِنُونَ فَهْمَ أصول الدين ولا معرفة أصول قواعد البحث العلمى ولا سَبْرَ أصول الفقه ، ليتسنى لهم رؤيةُ مقاصد الشريعة وإدراكُ كيفية استنباط الأحكام الجزئية من قواعدها الكلية !!

● **بل** إنهم ـ بمعزل عن ذلك ـ يسحبون الثقة من

الأئمة العظام والمجتهدين الأثبات كالأئمة الأربعة والإمامين الأشعري والماتريدى وحجة الإسلام الغزالى وإمام الحرمين والعز ابن عبد السلام وغيرهم ممن حفظ الله تعالى بهم معالم الإسلام وعلومه وثوابته على مدى القرون والأعصار ، وكذلك يسحبون الثقة من الأزهر الشريف الذى هو (كعبة علوم الدين)، والمرجعية الرئيسة لأصول الإسلام وفروعه على مدى أكثر من ألف عام ظل طوالها مركز الإشعاع الأعظم ومناط الوسطية المثلى لهذه الأمة !!

● ونظرا لكل ذلك : فقد استحكمت أزمة الأمة ، وساد الغلو ، وتقطعت الأسباب والوشائج بينها وبين النهج الحقيقى لسلف الأمة الصالح .

● وبالرغم من كل ذلك : فإن رحمة الله بأمة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لم تَنْحَسِرْ ولم ينقطع مددها ؛ إذ لا تزال الطائفة القائمة بأمر الله فى الأمة موجودة وظاهرة لا يضرهم من خالفهم ، وستظل بإذن الله حتى يأتى أمر الله وتقوم الساعة.

● ومن خواص هذه الطائفة القائمة بأمر الله فى عصرنا: هذا العالم الربانى الشريف الهاشمى سماحة الشيخ الدكتور محمد علوي المالكي الحسني ، عالم الحجاز، وداعية الأمة الإسلامية فى ربوع المعمورة .

● لقد نشأ هذا العالم نشأة أهل الاصطفاء فى أحضان أسرته القرشية الهاشمية فى رحاب بيت الله الحرام بمكة المكرمة وحفظ القرآن الكريم والحديث الشريف ، وتضلع من علوم الدين (النقلية والعقلية) على أيدى جهابذة العلم من علماء الحرمين الشريفين حتى مُنِحَ منهم إجازات بالتدريس والإفتاء فجلس بالتدريس بالمسجد الحرام مكان والده بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى سنة ١٣٩١هـ وأفاض الله عليه الفيض الربانى ، ووصل ليله بنهاره فى البحث العلمى والتبحر فى علوم الحديث الشريف ، وارتحل إلى عدة أقطار لبلوغ أربه ، وأجازه أساطين العلم فى بلاد المغرب ومصر والهند وباكستان .

● وحصل على درجة العالمية « الدكتوراه » فى الحديث النبوى الشريف وعلومه من جامعة الأزهر الشريف[١] .

● وقد عمل الشيخ الدكتور محمد علوى المالكى أستاذا بجامعة الملك عبد العزيز بكلية الشريعة بمكة المكرمة (من عام ١٣٩٠ ــ ١٣٩٩هـ).

● كما عُيِّن عضوا برابطة العالم الإسلامى ، وشارك فى العديد من المؤتمرات الدولية فى بلدان عديدة فى القارات

---

(١) انظر : المالكي عالم الحجاز ، للأستاذ زهير محمد جميل كتبي ص ٤٧ وما يليها : ط ١٤١٤هـ

الآسيوية والإفريقية والأوروبية .

● وتفرغ كذلك لنشر العلم الشريف بين أبناء مكة المكرمة وغيرهم من أبناء دول شرق آسيا ، محققًا هدى سلف الأمة الصالح فى خدمة الدين ونشر علومه حسبة لله تعالى .

● وقد صنف العلامة الدكتور محمد علوى المالكى ما يربو على الستين مؤلفا فى علوم القرآن والسنة والفقه والسيرة والتاريخ والتصوف والدعوة الإسلامية ..

من أبرزها : فضل الموطأ ، وإمام دار الهجرة (مالك ابن أنس)، وزبدة الإتقان ، وفتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب والترهيب ، ومفاهيم يجب أن تصحح ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم الإنسان الكامل ، والذخائر المحمدية ، والدعوة الاصلاحية وغير ذلك من روائع المصنفات التى زخرت بها المكتبة الإسلامية.

● هذا ويعد سماحة الدكتور محمد علوى المالكى ـ بحق ـ عالما موسوعيا ، ومجددا للإسلام فى عصرنا ، فلقد تبحر فى علوم الإسلام ، وتعمق فى شتى تخصصاته وعالج كبريات القضايا الإسلامية بعقلية فذة وفكر مستنير ، وقد اجتمع فى شخصيته المفسر ، والمحدث والمتكلم والأصولى ، والفقيه ، والصوفى والمؤرخ ، والأديب ، والشاعر ... إلخ .

● وتتجسد شخصية (المجدد) فى عديد من مصنفاته ، ومن أبرزها (مفاهيم يجب أن تصحح) و (الدعوة الإصلاحية) و (مفهوم التطور والتجديد) .

وحتى لا يؤخذ كلامى هذا على محمل الإطراء والمجاملة : فإننى أشفعه بشهادة أحد أكابر العلماء الأجلاء فى عصرنا وهو فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية الأسبق وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف الذى قال فى تقديم كتاب (مفاهيم يجب أن تصحح) ـ بعد الاستهلال بموفور الثناء على الشيخ المالكى وكتابه :

(.. وقد ظهر من مباحث هذا الكتاب : أنه حجة وبرهان ، وقول صادق وبيان ، فيه للمسلمين عزة وكرامة ، وتحقيق وافٍ وأمانة ، وأن نشره فى هذه الأزمان مما يعتز به الإسلام ويقضى به على مكائد الأعداء اللئام .

وقد أفاض المؤلف ـ حفظه الله ـ فى البيان الواضح ؛ حيث تحدث بعلم غزير وتحقيق واضح عن مسائل هامة فى معرفة المفاهيم الصحيحة السليمة ، والذود عنها ضد كل مفهوم سقيم ، ولصد الأعداء الكائدين ، ولإقامة الحق المبين فى بلاد الإسلام والمسلمين ، ذلك أن من مباحث هذا الكتاب ودعوته الحقة ، وأسلوبه الرصين ما يأتى : التحذير من المجازفة بتكفير

المسلمين ، ونقل فيه انعقاد الإجماع على منع تكفير أحد من أهل القبلة...»[(١)].

وكذلك قال فضيلة الدكتور الحسينى هاشم وكيل الأزهر الشريف والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية فى تقديمه لهذا الكتاب أيضا :

(.. وإن هذا الكتاب يوفر على المسلمين الخلافات التى تمزق وحدتهم ، وذلك ببيان المنهج السليم والقول الحق حتى يجتمع المسلمون على الخير والحق ..) [(٢)].

● ومن ثم نجد فى شهادتى العالمين الجليلين تأكيدا وتعزيزا لتحقق العلامة الدكتور محمد علوى المالكى بوصف (المجدد) للفكر الإسلامى فى عصرنا .

كما نجد فى كلامهما اتصال المضمون العلمى لكتاب (المفاهيم) بمضمون كتابنا هذا : (التحذير من المجازفة بالتكفير) فهما ينخرطان فى سلسلة (إيضاح مفاهيم السنة النبوية) التى صنف فيها الإمام المالكى العديد من مصنفاته .

● ولقد كان تصنيف العلامة الدكتور محمد علوي

---

(١) انظر مقدمة كتاب (مفاهيم يجب أن تصحح) تقديم فضيلة الشيخ حسنين مخلوف ص ٢١.

(٢) انظر مقدمة كتاب (مفاهيم يجب أن تصحح) تقديم فضيلة الدكتور الحسيني هاشم ص ٢٦.

المالكي لهذا الكتاب القيم (التحذير) منبثقا بحق عن شفافية الرؤية ، ونورانية البصيرة ؛ لأنه صنفه منذ أكثر من عشرين عاما ـ قبل أن تتحول دعاوى التكفير إلى « قنابل » للتفجير ، وقبل أن يستطير شرر الغلو فى آفاق الأمة لينقضَّ على آلاف الأبرياء ، وقبل أن يوصم الإسلام وأهله بالإرهاب ويتخذ من هذا الوصف ذريعة لضرب الإسلام واستباحة دماء وأموال وبلاد المسلمين.

لقد ذكرنى بهذا السبق التحذيرى سماحة السيد محمد علوى المالكى وأنا فى زيارته بمنزله المبارك بالرصيفة بمكة المكرمة فى العشر الأواخر من رمضان الماضى (١٤٢٤هـ) فرضى الله تعالى عنه من ولى عارف بالله تعالى (وهكذا الربانيون المحمديون)!!

• كان الشيخ يرى بنور الله فأبرز فى هذا الكتاب سماحة أئمة المسلمين وأهل المرجعية السلفية كابن تيمية والشوكانى ومحمد بن عبد الوهاب الذى نفى بصريح كلامه (الموثق) ما تقولهُ عليه المفترون من أتباعه ؛ كالقول بإبطال كتب المذاهب الأربعة ، وتحريم زيارة القبر النبوى ، وزيارة قبر الوالدين وغيرهما وتكفير من حلف بغير الله . وتكفير ابن الفارض وابن عربى ، وإحراق دلائل الخيرات وروض الرياحين فى حكايات الصالحين . وقال الشيخ ابن عبد الوهاب داحضًا افتراء هذه

الأقوال عليه : (جـوابى عن هذه المسائل : أن أقول : « سـبحانك هذا بهتان عظيم »)!!

● ولقد أثنى فـضيلة الشيخ محـمد علوى المالكى فى مقدمـة الطبعة الأخـيرة لهذا الكتاب على بيـان مجلس هيئـة كبار العلماء بالمملكة العربية السعـودية المنعقد فى يوم الخميس الثلاثين من ذى القـعـدة سنة ١٤١٩هـ الـذى اشتـمـل على التـحـذير من المسارعة إلى التكفير لأدنى شبـهة، حيث جاء فى البيان(ولما كان مرد التكفـير إلى الله ورسوله لم يجز أن نكفـر إلا من دلَّ الكتاب والسنة على كفره دلالة واضحة ، فلا يكفى فى ذلك مجرد الشبهة والظن ، لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة)

● وبعـد .. فـجـزى الله تعـالى العـارف بالله تعـالى سمـاحة الشيخ الدكتـور محمـد علوي المالكي عن الإسلام وأهله خـيـرا علـى مـا قــدم من عطاء زاخــر لا يضطلـع به إلا الورثة المحمـديون ، وفقنا الله تعالى دائمـا إلى ما يحبه ويرضـاه ، وحفظ أمتنا مـن كل فتنة وبلاء ، وأعـز الإسلام وأهله بعزة الله إنـه تعالى نعم المجـيب وصلى الله على سـيـدنا محـمـد وعلى آله وصـحبـه وسلم.

الفقير إلى الله تعالى

أ.د/ جوده محمد ابو اليزيد المهدي

عميد كلية القرآن الكريم بجامعة الأزهر فرع طنطا

في ٢٧ ذي القعدة ١٤٢٤هـ

« تقريـظ »

بقلم د/ **محمد فؤاد شاكر**

بسم الله الرحمـن الرحيم ، المنعم المتـفضل ، الذى وهب وأجـزل ، وبدأ بالنوال قـبل السؤال ، أكـرمنا فـأحاطـنا بحصـون حمايته، وأسبغ علينا وافر تكريمه ومحبته ومودته، أحبنا فأحببناه ، ورضى عنّا ورضـانا عنه ، وأحـلنا منازل القـرب من أصـفـيـائه ، وأقامنا فى مدارج كريم عطائه ، وصـلاة وسلاماً على شق الشهادة والشاهد المشهـود ، المخصوص بالحوض المورود ، سـيدنا ومولانا رسـول الله وعلى آله أنوار الخـيـر المتواكب مـع كتـاب الله العـزيز الحكيم ، وأصحابه خيرة رب الناس لخير الناس .. وبعد ..

فأى تبجيل نالنا أعظم ولا أسمى من أن نقدِّم بين يدى العـالم والعلم،كـريم الأبوين الشريفـين ، وربيب البـيت الأشم، وسليل النهل الأعم ، بين يدى سيدنا ومولانا السـيد محمد علوي المالكي ، ومحبتهم فرض والولاء لهم طاعة .

هذا الكتـاب المسطور بأنوار تجليات الصـدور فى قضـية طمَّ خطبها وعمَّ وهى قضية المجازفة بتكفير الناس بما لا يقره ولا يرضاه رب الناس ، وقد طرّزه شيخنا المبارك بحلل الأدلة ، وألبسه

قطوف الاقناع والتجلة ، فكان منارة هداية لعلماء الأمة وأسكت به ألسنة الغواية ، ونثر درر فيوضاته على قلوب أهل الهداية ، جاء واضح المقالة قوى الدلالة ، يسكت صليل صريفه كل مكابر عنيد ، ويسترشد بحججه من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فحرى بكل مؤمن محب لدينه غيور على إيمانه أن يجعل هذه السطور بين حنايا فؤاده يقلب فى وجوه أهل الفتنة أنوارها ، ويزكى فى هشيم دعاوى الأدعياء أوارها ، حتى تحترق كتائب الباطل وتخمد نيران الحاقدين .. أعداء الدنيا والدين .

نسأل الله العظيم أن يجعل كل حرف فى هذا العمل المتفرد سبيلا للهداية وطريقاً للرشاد ومنهجاً للتآلف، وأن يجعله سجلا حافلا بين يدى كاتبه يضم من خلاله أحبابه حول المحب الأعظم والنبى الأكرم جده أبى القاسم لينالوا شرف المعية عند كوثره المشهود ومنزله المحمود أنه أهل التكريم والعطاء والجود.

والله من وراء القصد ،،

خادم السنة المشرفة

د/ محمد فؤاد شاكر

جامعة عين شمس

ج ٠ م ٠ ع

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله تعالى الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيد السادات ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأئمة الهداة .

أما بعد .. فقد نفدت الطبعة الأولى من كتابنا هذا فى مدة وجيزة بفضل الله . ولما اشتد الطلب على الكتاب أصدرنا هذه الطبعة منقحة مصححة، وأضفنا إليها قرار هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية الذى صدر من الديوان الملكى .

ولا شك أن هذه خطوة طيبة إذ تقطع ألسنة المتطاولين من هؤلاء الذين ينسبون إلى هذه المملكة أنها بلد التكفير .

وإننى قد ذكرت فى كتابنا هذا ما يدعو إليه علماء المملكة العربية السعودية من قبل ، وذلك فى فتاوى مفتى المملكة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وإمام وخطيب المسجد الحرام الدكتور الشيخ صالح بن الشيخ عبد الله بن حميد وفتوى والده العلامة الفقيه الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله.

فالله أسأل أن يوفّق الجميع إلى ما يرضى الله ورسوله . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

المؤلف

السيد محمد بن علوي المالكي

القرار الصائب فى الوقت المناسب

قرأنا جميعاً القرار الصائب الحكيم الذى أعلنه مجلس هيئة كبار العلماء فى بيان أصدره ونشرته الصحف اليومية يوم الخميس ٣٠ ذو القعدة ١٤١٩هـ اشتمل على التحذير من المسارعة إلى التكفير لأدنى شبهة .

وقال البيان : ولما كان مردّ حكم التكفير إلى الله ورسوله لم يجز أن نكفر إلا من دلَّ الكتاب والسنة على كفره دلالة واضحة، فلا يكفى فى ذلك مجرد الشبهة والظن لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة .

وبيَّن أنه قد يرد فى الكتاب والسنة ما يفهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر ولا يكفر من اتصف به لوجود مانع يمنع من كفره .

ثم جاء فى البيان: وقد ينطق المسلم بالكفر لغلبة فرح أو غضب أو نحوهما، فلا يكفر بها لعدم القصد ،كما فى قصة الذى قال:(اللهم أنت عبدى وأنا ربك)أخطأ من شدة الفرح. والتسرع فى التكفير يترتب عليه أمور خطيرة من استحلال الدم والمال ومنع التوارث وفسخ النكاح وغيرها مما يترتب على الردة .

فكيف يسوغ للمؤمن أن يقدم عليه لأدنى شبهة ؟ إلى

آخـر البيـان .

وهذا البيـان فى الحقيقـة جاء فى وقتـه المناسب له.. جاء فى محله ومن أهـله .. وهو الذى كـان ينتظره العـالم كـله منهم لأنهم يعلّقون آمالهم ورجاءهم وحسن ظنهم فى المملكة ورجالها وسياستها وعلمائها ، ويعـتبرون أنها الميزان والمرجع وأن قولها فى أى مسألة أو قـضيـة هو الحكمـة الحسنة والعـقل الراجح والرأى الناجح .. وهذا من نعم الله تعالى.

وفى هذا البيـان القـول الـفـصل لقطع شبـه ودعـاوى الأدعياء الذين يحـتجون فى أعمالهم الكفـرية والإرهابية بالمملكة فينسبون إليها إفرازاتهم السـيئة وجرائمهم النكراء وجراءتهم على الكتاب والسنة واستهتارهم بالمسـؤولين وبأئمة المسلمين وعامتهم وتوزيعـهم للجـنة والنار ومـراتب الشـهـداء على مـا يشـتـهـون ويريدون ممن يدور فى فلكهم وينسـاق معـهم ويسير فى طـريقهم بلا بصيرة ولا نظر .

لذلك فـإنى أحيّى فى رسـالتى هذه هيـئة كـبار العلمـاء وأقول: إن الله سبحانه وتعالى قَد وفقهم فى هذه الخطوة العظيمة توفيـقًا يدفع شراً خطيراً ، وينـفع نفعاً كبـيرا. وكم ستحـقن دماء وتحفظ أعراض وتصان حرمات وتسـتر عورات وتسد ثغرات بمثل هذه الخطوات المدروسة التى تدل دلالة واضحـة على ما أكرمنا الله به فى بلادنا العزيزة من حكام يعملون منذ بداية عهدهم على نشر الدين والعلم والثـقـافـة وبناء الحضـارة الإنسـانيـة والعمـرانيـة

والاجتماعية على أسس متينة ومناهج واضحة ابتداءً من المرحوم الملك عبد العزيز الذى وحّد الجزيرة وجمع الكلمة وأزال الفوارق العصبية وهدم الحواجز العنصرية حتى لم يجد دعاة السوء من المتطفلين والعملاء والدخلاء الأجانب ... لم يجد هؤلاء لهم مكاناً فى المجتمع السعودى المتماسك الموحد الملتحم بقيادته بولاء صادق مملوء بالمحبة والثقة والأمانة .

وهذا البلاء والشر هو الذى تعانى منه اليوم ـ وهو المشاهد ـ كثير من المجتمعات مالا يخفى من التفرق والإرهاب والخوف ، إذ تمكن دعاة السوء وأدعياء الإصلاح من بث الفتنة وتشويه الصورة واغتنام فرصة الخلاف الفكرى والعلمى ـ وهو أمر بديهى وواقعى ـ لتوليد المشاكل وتعقيد الأمور وخلق قضايا لا تنفع بل تضر ، ولا تجمع بل تفرق ، ولا تحمد عقباها بل تذم من مبتداها إلى منتهاها ، وكثير من الناس يذوق ألمها ويصطلى بنارها اليوم التى تبدو أحياناً وتختفى أحياناً أخرى .

ولكن الله سبحانه وتعالى حفظ بلادنا من ذلك السوء والشر بفضل ما منّ به على حكامنا وولاة أمورنا من العقل والحكمة والتأنى والتثبت الذى تظهر نتائجه فى كل مناسبة وحادثة وهو ما يدعو إليه هذا البيان .

ولقد دعا الملك عبد العزيز إلى هذه المعانى السامية فى خطبه وبياناته ، وخصوصاً فى البيان الذى وجهه إلى المؤتمر الإسلامى المنعقد بمكة المكرمة فى ٢١ ذى الحجة سنة ١٣٤٤هـ

والذى بيّن للمؤتمرين أن مهمة العلماء فى عصرنا هذا هو إيقاظ الشعـور والغيـرة فى نفوس المسلمـين وحمل رؤسائهـم وقادتهم على الوقوف فى وجه أعداء الإسلام المستعبدين للمستضعفين من المؤمنين . ومن يشـغل نفسـه بالمسـائل الخلافـيـة فإنما يـفرق بهـا صفوف المسلمـين ويغطى على تقصيره وانحرافـه عما هو واجب عليه مما لا يعذر فـيه ولا يجزيه من الله شىء . فـالإسلام لا أرض له اليوم والمسلمـون يسامون الهـوان فى كل مكان ، ولن تقوم لهـم قائمة ولن ترفع عنهم عصا الذل حتى يجندوا أنفسهم للدفاع عن كيان الإسلام وحماية بيـضتـه مع من بيده الحـل والعقد من أولى الأمـر ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ .
(إلى آخر خطبة الملك رحمه الله).

وإليكم نص البيان :

أعلن مجلس هيئـة كبار العلماء فى بيـان أصدره عن ما يجرى فى كثير مـن البلاد الإسلامية وغيرها من التكفيـر والتفجير وما ينـشأ عنه من سـفك الدماء وتخريـب المنشآت . وما يـترتب عليه من إزهاق أرواح بريئة وإتلاف أموال معصومة وإخافة الناس وزعزعـة الأمن والاستقرار . أعلـن أن الإسلام برىء من معتـقد التكفيـر الخاطئ وإن ما يجرى فى بعض البلدان من سـفك للدماء البـريئة وتفـجيـر للمسـاكن والمركبـات والمرافق العامـة والخاصـة وتخريب للمنشآت هو عـمل إجرامى والإسلام برىء منه وكذلك كل مسلم يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر.

وأوضح البيـان أن من يقـوم بمثل هذه الأعمـال من التفجير والتخريب بحجة التكفير إنما هو تصرف من صاحب فكر منحرف وعقيدة ضالة ، فهو يحمل إثمه وجرمه فلا يحتسب عمله على الإسلام ولا على المسلمين المهتدين بهدى الإسلام المعتصمين بالكتاب والسنة المتمسكين بحبل الله المتين وإنما هو محض إفساد وإجرام تأباه الشريعة والفطرة ، ولهـذا جاءت نصوص الشـريعة قاطعة بتحريمه محذرة من مصاحبة أهله .

قال الله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾.

وأوضح بيان مجلس هيئة كبار العلماء أن التكفير حكم شـرعي مـرده إلى الله ورسوله فكمـا أن التـحليل والتـحريم والإيجـاب إلى الله ورسوله فكذلك التكفـير وليس كل ما وصف بالكفر من قول أو فعل يكون كفرا أكبر مخرجاً عن الملة .

ولما كان مرد حكم التكفير إلى الله ورسوله لـم يجز أن نكفـر إلا من دل الكتـاب والسنة على كفـره دلالة واضـحة فـلا يكفى فى ذلك مـجـرد الشبـهـة والظن لما يتـرتب على ذلك من الأحكام الخطيرة .

وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات مع أن ما يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات ولذلك حذر النبى صلى الله عليه وآله وسلم من الحكم بالتكفير على شخص ليس بكافر فقال : « أيما امرىء قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه » .

وقد يرد فى الكتاب والسنة ما يفهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر ولا يكفر من اتصف به لوجود مانع يمنع من كفره وهذا الحكم كغيره من الأحكام التى لا تتم إلا بوجود أسبابها وشروطها وانتفاء موانعها كما فى الإرث سببه القرابة مثلاً وقد لا يرث بها لوجد مانع كاختلاف الدين .

وهكذا الكفر يكره عليه المؤمن فلا يكفر به وقد ينطق المسلم بكلمة بالكفر لغلبة فرح أو غضب أو نحوهما فلا يكفر بها لعدم القصد كما فى قصة الذى قال.. اللهم أنت عبدى وأنا ربك .. أخطأ من شدة الفرح .. والتسرع فى التكفير يترتب عليه أمور خطيرة من استحلال الدم والمال ومنع التوارث وفسخ النكاح وغيرها مما يترتب على الردة فكيف يسوغ للمؤمن أن يقدم عليه لأدنى شبهة .

وإذا كان هذا فى ولاة الأمور كان أشد لما يترتب عليه من التمرد عليهم وحمل السلاح عليهم وإشاعة الفوضي وسفك الدماء وفساد العباد والبلاد ولهذا منع النبى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم من منابذتهم فقال.. « إلا أن تروا كفراً بواحاً

عندكم فيه من الله برهان .. » فأفاد قوله: (إلا إن تروا) .. أنه لا يكفى مجرد الظن والإشاعة .

وأفاد قوله (كفراً) أنه لا يكفى الفسوق ولو كبر كالظلم وشرب الخمر ولعب القمار والاستئثار المحرم ، وأفاد قوله (بواحاً) أنه لا يكفى الكفر الذى ليس ببواح أى صريح ظاهر، وأفاد قوله (عندكم فيه من الله برهان) أنه لابد من دليل صريح بحيث يكون صحيح الثبوت صريح الدلالة .

فلا يكفى الدليل ضعيف السند ولا غامض الدلالة، وأفاد قوله (من الله) أنه لا عبرة بقول أحد من العلماء مهما بلغت منزلته فى العلم والأمانة إذا لم يكن لقوله دليل صريح صحيح من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه القيود تدل على خطورة الأمر .

وجملة القول أن التسرع فى التكفير له خطره العظيم لقول الله عز وجل ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْىَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ . وأضاف البيان أَنَ ما نجم عن هذا الاعتقاد الخاطئ من استباحة الدماء وانتهاك الأعراض وسلب الأموال الخاصة والعامة وتفجير المساكن والمركبات وتخريب المنشآت هى وأمثالها أعمال محرمة شرعاً بإجماع المسلمين ، لما فى ذلك من هتك لحرمة الأنفس المعصومة وهتك لحرمة الأموال وهتك لحرمات الأمن والاستقرار وحياة

الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم وغدوهم ورواحهم وهتك للمصالح العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها. وقد حفظ الإسلام للمسلمين أموالهم وأعراضهم وأبدانهم وحرم انتهاكها وشدد في ذلك وكان من آخر ما بلغ به النبي صلى اللهعليه وآله وسلم أمته فقال في خطبة حجة الوداع : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا » ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم « ألا هل بلغت اللهم فاشهد » متفق عليه. وقال صلى الله عليه وآله وسلم « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » وقال عليه السلام : «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة».

قد توعد الله سبحانه من قتل نفساً معصومة بأشد الوعيد فقال سبحانه في حق المؤمن: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾. وقال سبحانه في حق الكافر الذي له ذمة في حكم قتل الخطأ ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾. فإذا كان الكافر الذي له أمان إذا قتل خطأ فيه الدية والكفارة فكيف إذا قتل عمداً فإن الجريمة تكون أعظم والإثم يكون أكبر ، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ».. وأكد البيان أن الواجب على جميع المسلمين في كل مكان التواصي بالحق والتناصح والتعاون على البر والتقوى

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن كما قال سبحانه وتعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ وقال سبحانه: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾. وقال عز وجل: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾. وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « الدين النصيحة. قيل : لمن يارسول الله ؟.. قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » والآيات والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة.

ونسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكف البأس عن جميع المسلمين وأن يوفق جميع ولاة أمور المسلمين إلى ما فيه صلاح العباد والبلاد وقمع الفساد والمفسدين وأن ينصر بهم دينه ويعلى بهم كلمته وأن يصلح أحوال المسلمين

جـميـعًا فى كل مكان وأن ينـصر بهم الحق إنه ولى ذلك والقـادر عليه .. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد ..

فلقد ابتلى المؤمنون فى هذه الأعصر الأخيرة الجديدة بمحن وبلايا وزلازل نفسية شديدة ، حتى شك المنافقون والذين فى قلوبهم مرضٌ فِى وعدِ اللهِ الكريمِ بالنصرِ والتأييد لأهل الحق وقالوا: ﴿ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ؛ ولكن المؤمنين الصادقين مازادهم ذلك إلا إيماناً وتسليماً ونوراً ، وثباتاً وطمأنينةً وفرحاً وسروراً ، بثواب العاملين وجوائز الصادقين ، ورضا رب العالمين وسيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

ومن أعظم تلك المحن والمصائب مايجرى على الساحة اليوم من تكفير ونقد وردود تحولت إلى عناد شخصى ، وانتصار ذاتى ، وعداء ظاهر ، وانتهاك للأعراض والحُرُمات، وتلمّس للمعائب، وتشبه بإلصاق التهم بالناس وتتبع العورات والهفوات، ونشر للعثرات ، وستر للخيرات والفضائل، ومن ذا الذى ماساء قط ؟ كما قال الشاعر :

سامح أخاك إذا خلط — منه الإصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه — إن جار يوماً أو قسط
من ذا الذى ما ساء قط — ومن له الحسنى فقط
غير نبينا الذى — عليه جبريل هبط

قال بعض أهل العلم :

وقد وقعت هذه البَليةُ والطَّامّةُ التى كنا نخاف منها ، ونحذّر شبابنا من الوقوع فيها والدخول فى ظلماتها .

وهذه البَليةُ هى ما نسمعه من الطعن فى العلماء بأسلوبٍ ما كان يُعْرف من قبل ، وما كان يُتوقع أنه فى يوم من الأيام يقعَ فى هذه البلاد خاصة ،والتى لا يزال العلماء الأجلاء الذين هم بقية السلف الصالح يحذّرون منها ، وقد وصل الأمر هذا ذروته وظهر فى أشده واستوى على سوقه فى هذه الأيام. اهـ.

يقول الأستاذ الدكتور طه جابر فياض العلوانى أستاذ الفقه وأصوله فى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقا:

بدأنا نرى شباباً ينتسبون إلى السلفية، وآخرين ينتسبون إلى أهل الحديث، وفريقا ينتسبون إلى المذهبية ، وآخرين يدعون اللامذهبية، وبين هؤلاء وأولئك تتبادل الاتهامات المختلفة من التكفير والتفسيق والنسبة إلى البدعة والانحراف والعمالة والتجسس ونحو ذلك، مما لا يليق بمسلم أن ينسب أخاه إليه بحال، فضلاً عن أن يُعْلنه للناس بكل ما لديه من وسائل، غافلين

أو متغافلين عن أن ما يتعرض له الإسلام من محاولات استئصال أخطر على الأمة من تلك الاختلافات ، وإذا كان للأئمة المجتهدين أسباب اختلاف تُبرّر اختلافهم وتُخفف منها ، وتساعد على وضعها ضمن ضوابط الاختلاف، فإن أرباب الاختلاف من المعاصرين لا يملكون سبباً واحداً من أسباب الاختلاف المعقول ، فهم ليسوا بمجتهدين، وكلهم مقلدون بما فيهم أولئك الذين يرفعون أصواتهم عالياً بنبذ التقليد ونفيه عن أنفسهم ، وأنهم يأخذون الأحكام من الكتاب والسنة مباشرةً دون تقليد ، وهم فى الحقيقة يعكفون على بعض كتب الحديث ، ويقلدون كاتبيها فى كل ما يقولون فى الحديث ودرجته ورجاله ، ويتابعونهم فى كل ما يستنبطونه من تلك الكتب أو ينقلونه من الفقهاء.

قلت : وغاية ما يفعلونه هو تقليد علمائهم ممن يدّعون الاجتهاد فى الفقه والحديث وترك تقليد الأئمة السابقين ، إذ تراهم ينقلون مثلاً الحديث وحكم العلماء السابقين عليه تصحيحا أو تضعيفاً ، ثم يُؤيدون ذلك بكلام المعاصرين وينقلونه قضية مسلّمةً لا شك فيها .

أليس هذا هوالتقليد بعينه ؟ بل هو التقليد الأعمى ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

ثم قال الأستاذ الدكتور الفياض: وكثيرٌ منهم من ينسب لنفسه العلم بالرجال ومعرفة مراتب الجرح والتعديل وتاريخ الرجال ، وهو فى ذلك لا يعدو أن يكون قد درس كتاباً من كتب

القوم فى هذا الموضوع أو ذاك، فأباح لنفسه أن يعتلى منبر الاجتهاد وحق له أن يتعالى على العباد ، وحرىٌ بمن نال نصيبًا من العلم أن ينهاه علمه من أن يكون من الجاهلين ، وأن يرتفع عن توزيع الألقاب واتهام الناس ، ويدرك خطورة ما تتعرض له عقيدة الأمة ، فيعمل على الذب عنها ، ويحرص على جمع القلوب ، ومادام الجميع يقلدون ويأخذون عن أئمتهم أقوالهم على اختلافهم ـ وإن زعموا غير ذلك ـ فلا أقل من أن يلتزموا بآداب الاختلاف التى عاش فى كنفها كرام الأئمة من السلف[1] . ا.هـ.

لقد ابتلينا بجماعة تخصصت فى توزيع الكفر والشرك وإصدار الأحكام بألقاب وأوصاف لا يصح ولا يليق أن تُطلق على مسلم يشهد أن لا إلَه إلا الله وأَن محمدا رسول الله ، كقول بعضهم فيمن يختلف فى الرأى والمذهب معه: مُخرف .. دَجَّال .. مُشعوذ.. مُبتدع .. وفى النهاية: مُشرك ... وكافر .

ولقد سمعنا كثيراً من السُّفهاء الذين ينسبون أنفسهم إلى العقيدة يكيلون مثل هذه الألفاظ جُزافاً ويزيد بعض جهلتهم بقوله : داعية الشرك والضلال فى هذه الأزمان ، ومجدد ملة عمرو بن لحيّ المدعو بفلان .

هكذا نسمع بعض السفهاء يكيل مثل هذا السب والشتم وبمثل هذه الألفاظ القبيحة التى لا تصدر إلا عن السوقة الذين لم يجيدوا أسلوب الدعوة وطريقة الأدب فى النقاش.

(١) «أدب الاختلاف فى الإسلام» ، للدكتور طه جابر فياض.

هكذا تأتى هذه الألفاظ متتابعة ومتتالية ، وهكذا نسمعها بنغمةٍ واحدة وفى موطنٍ واحد وفى منبعٍ واحد.

لذلك تنبّه الغيورون من أهل الحل والعقد والفكر والنظر والعقل والفهم الصحيح للدين وأحوال المجتمع ومتغيرات الزمان التى لا تقدح فى أصل الدين ، وإنما هى داخلةٌ تحت هيمنته وقيادته وسلطانه إذا أحسن الناظر الباحث فهمها وأتقن تدبّرها ، وتبصّر فيها بما أعطاه الله من علم وعقلٍ وفهم فى كتاب الله جل جلاله وسُنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

تنبّه العلماء لهذه الفتنة التى يستغلها أعداء الإسلام للإيقاع بأهله ، وضرب بعضهم ببعض ، فقاموا بواجب النصيحة والتحذير، فجزاهم الله تعالى خيراً عن الإسلام والمسلمين وجمع بهم كلمة المسلمين، وأزال بهم التفرق والخلاف.

وهذه خلاصة مفيدة شاركنا بها فى هذا الموضوع المهم ، عسى الله أن ينفع بها وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

وإنى أرجو ممن يطلع على بعض أقوال العلماء فى هذه الخلاصة ويجد فى نفسه مخالفةً ويريد أن ينتقد أو أن يعترض ، أن يلتزم الأدب فى القول، وأن يبتعد عما تعوده بعض المنتقدين من الفجور فى الخصام والغلو فى البغض والهجوم فى الكلام دون تفريق بين حلال وحرام.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين ..

موقف الإمامين ابن تيمية والشوكانى

يقول الإمام الشيخ ابن تيمية: « إن القول قد يكون كُفراً فيطلق القول بتكفير صاحبه ، ويقال: من قال هذا فهو كافر ، لكن الشخص المعين الذى قاله لا يحكم بكفره ، حتى تقوم عليه الحجة التى يُكفر تاركها ، وهذا كما فى نصوص الوعيد، فإن الله تعالى يقول ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .

فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حقٌّ ، لكن الشخص المعين لا يُشهد عليه بالوعيد ، فلا يُشهد على مُعين من أهل القبلة بالنار لجواز أن لا يلحقه الوعيد، لفوات شرط أو ثبوت مانع ، فقد لا يكون التحريم بلغه ، وقد يتوب من فعل المُحرم ، وقد تكون له حسناتٌ عظيمةٌ تمحو عقوبة المُحرم ، وقد يُبتلى بمصائب تُكفر عنه، وقد يشفع فيه شفيعٌ مطاع .

قال : وهكذا الأقوال التى يُكفر قائلها ، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق .

قال: وقد تكون بلغته ولم تثبت عنده ، أو لم يتمكن من فهمها ، وقد تكون عرضت له شبهات يَعذُره الله بها .

قال: ومذاهب الأئمة مبنيةٌ على هذا التفصيل بين النوع والمعين.

ورأيت للشيخ أيضا فى كتاب « طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول » للشيخ عبد الرحمن السعدى فى (ص ٧٦) ما نصه : « ولا يلزم إذا كان القول كُفراً أن يُكفر كل من قاله مع الجهل والتأويل ، فإن ثبوت الكفر فى حق الشخص المعين كثبوت الوعيد فى الآخرة فى حقه، وذلك له شروطٌ وموانع » .ا.هـ

ونقل السيد صديق حسن خان فى « الروضة الندية» ما قاله العلامة الشوكانى فى كتابه « السيل الجرار » قال:

« اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله فى دين الكفر، لا ينبغى لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُقْدِم عليه إلا ببرهانٍ أوضح من شمس النهار، فإنه قد ثبت فى الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة أن: « من قال لأخيه: يا كافر ، فقد باء بها أحدهما » . هكذا فى الصحيح .

وفى لفظ آخر فى الصحيحين وغيرهما : « من دعا رجلاً بالكفر أو قال : عدو الله وليس كذلك ، إلا صار عليه » أى رجع .

وفى لفظ فى الصحيح : « فقد كفر أحدهما» .

ففى هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظٍ عن الإسراف فى التكفير ، وقد قال الله عز وجل :

﴿وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ﴾.

فلا بد من شرح الصدر بالكفر وطمأنينة القلب وسكون النفس إليه ، فلا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشرك لاسيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام، ولا اعتبار بصدور فعل كُفرى لم يُرِد فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملة الكفر ، ولا اعتبار بلفظٍ يتلفظ به المسلم يدل على الكفر ولا يعتقد معناه .

موقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب

وقد وقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في هذا الميدان موقفا عظيما ، قد يستنكره كثيرٌ ممن يدعي أنه منسوبٌ إليه ومحسوبٌ عليه ، ثم يكيل الحكم بالتكفير جُزافاً لكل من خالف طريقته ونبذ فكرته ، وها هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب يُنكر كل ما ينسب إليه من هذه التفاهات والسفاهات والافتراءات فيقول ضمن عقيدته في رسالته الموجهة لأهل القصيم قال:

« ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم ، وأنه قَبِلَها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم ، والله يعلم أنَ الرجل افترى عليَّ أموراً لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالي .

فمنها : قوله : إني مبطلٌ كتب المذاهب الأربعة ، وإني أقول : إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، وإني أدعي الاجتهاد ، وإني خارجٌ عن التقليد ، وإني أقول : إن اختلاف العلماء نقمة ، وإني أكفر من توسل بالصالحين ، وإني أكفر البوصيري لقوله : يا أكرم الخلق ، وإني أقول : لو أقدر على هدم قبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهدمتها ، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب، وإني أُحرم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وإني أنكر زيارة قبر

الوالدين وغيرهما، وإنى أُكفر من حلف بغير الله ، وإنى أُكفر ابن الفارض وابن عربى ، وإنى أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين ، وأسميه روض الشياطين .

جوابى عن هذه المسائل : أن أقول : ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾.

وقبله من بهت محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أنه يسب عيسى ابن مريم ويسب الصالحين ، فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور.

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ الآية ، بهتوه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يقول : إن الملائكة وعيسى وعزيرا فى النار ، فأنزل الله فى ذلك : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[1].

(١) انظر الرسالة الأولى من الرسائل الشخصية ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب المنشورة باهتمام جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (القسم الخاص ص / ٣٧) .

رسالة مهمة أخرى للشيخ فى الموضوع

هذه رسالةٌ أرسلها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى السويدى عالمٌ من أهل العراق ، وكان قد أرسل له كتاباً وسأله عما يقول الناس فيه ، فأجابه بهذه الرسالة ، قال فيها :

« إن إشاعة البهتان مما يستحى العاقل أن يحكيه فضلاً عن أن يفتريه ، مما قلتم : إننى أكفر جميع الناس إلا من اتبعنى ، ويا عجباً كيف يدخل هذا فى عقل عاقلٍ ، وهل يقول هذا مسلم؟

ومما قلتم : لو أننى أقدر على هدم قبة النبى صلى الله عليه وآله وسلم لهدمتها ، وفى دلائل الخيرات لحرَّمتُه، وأنهى عن الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأى نظم كان ، فهذا من البُهتان ، والمسلم لا يظنّ فى قلبه أجل من كتاب الله .

وفى موضع آخر قال رحمه الله : ومما قلتم : إننى أكفر من توسّل بالصالحين ، وأكفر البوصيرى لقوله : يا أكرم الخلق ، وأنكر زيارة قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وأنكر زيارة قبور الوالدين وغيرهم، وأكفر من حلف بغير الله.

جوابى على ذلك أقول : ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .

(١) انظر القسم الخامس ـ الرسائل الشخصية ص٣٧ من مجموعة مؤلفات الشيخ

بيان مهم

بيانٌ مهم فى الموضوع من الشيخ عبد العزيز بن باز مفتى المملكة

فى بيان للرئيس العام لإدارة البحوث والإفتاء فى المملكة العربية السّعودية أكد سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز مفتى المملكة والرئيس العام لإدارة البحوث العلمية والإفتاء ، أنه قد شاع فى هذا العصر أن كثيراً من المنتسبين إلى العلم والدعوة إلى الخير يقعون فى أعراض كثير من إخوانهم الدُّعاة المشهورين ، ويتكلمون فى أعراض طلبة العلم والدعاة والمحاضرين .

وقال الشيخ ابن باز فى بيانه: إنهم يفعلون ذلك سراً فى مجالسهم، وربما سجلوه فى أشرطة تُنشر على الناس ، وقد يفعلونه علانية فى محاضرات عامة فى المساجد ، وهذا المسلك مخالفٌ لما أمر الله به ورسوله .

وقال الشيخ أيضا : إن فى ذلك إفساداً لقلوب العامة ، ونشرًا وترويجاً للأكاذيب والإشاعات الباطلة ، وسبباً فى كثرة الغيبة والنميمة، وفتح أبواب الشر على مصاريعها لضعاف النفوس الذين يدأبون على بث الشبه وإثارة الفتن ، ويحرصون على إيذاء المؤمنين بغير ما اكتسبوا.

ثم قال: فالذى أنصح به هؤلاء الإخوة الذين وقعوا فى أعراض الدعاة ونالوا منهم أن يتوبوا إلى الله تعالى مما كتبته أيديهم أو تلفظت به ألسنتهم ، مما كان سببا فى إفساد قلوب بعض الشباب وشحنهم بالأحقاد والضغائن، وشغلهم عن طلب العلم النافع وعن الدعوة إلى الله بالقيل والقال والكلام عن فلان وفلان ، والبحث عما يعتبرونه أخطاء للآخرين ، وتصيدها وتكلف ذلك، كما أنصحهم أن يكفروا عما فعلوا بكتابة أو غيرها مما يبرئون فيه أنفسهم في مثل هذا الفعل ، ويزيلون ما علق فى أذهان من يستمع إليه من قولهم ، وأن يقبلوا على الأعمال المثمرة التى تقرب إلى الله وتكون نافعة للعباد ، وأن يحذروا من التعجل فى إطلاق التكفير أو التفسيق أو التبديع لغيرهم بغير بينة ولا برهان ، وقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما » متفق على صحته .ا.هـ

تأكيد الشيخ ابن باز تحذيره عن المبادرة إلى التكفير والتشهير

وفى لقاء مفتوح تكلم الشيخ عبد العزيز بن باز مؤكداً تحذيره السابق فيماً تقدم ، ومما جاء فى ذلك اللقاء قوله:

وقد قيض الله لنا حكومة تُراعى أمر الدين وأمر الأمن وأمر الإسلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتحكيم شريعة الله ، وتنهى عمّا نهى الله عنه ، هذه من نعم الله العظيمة ، وفعل ذلك هو الأصل الذى درجت عليه هذه الدولة وأسلافها ، ودرج عليه علماء المسلمين فى هذه البلاد منذ عهد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، ومن عهد الإمام محمد بن سعود رحمه الله فالدعوة إلى الله وإلى توحيده والتواصى بالحق والصبر عليه والنظر فى هذه النعمة وشكر الله عليها، ثم التواصى بالدوام عليها والدعوة إليها بين العلماء والأمراء والأغنياء والعامة والخاصة ، هى نعمة يجب أن نتباهى بحفظها والاستقامة عليها والدعوة إليها ، وأن نتعاون على البر والتقوى ، وأن نتواصى بالحق والصبر عليها ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأن نسلم أمرنا لله كما أمر الله : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ فالنصح بالأسلوب الحسن والكفاية المفيدة والمشافهة المفيدة ، وليس من النصح التشهير

بعيوب الناس وانتقاد الدولة ، لكن النصح أن تسعى بكل ما يزيل الشر ويثبت الخير بالطرق الحكيمة ، وبالطرق التي يرضاها الله عز وجل ، ونحن في نعم عظيمة ، نعمة الإسلام ، ونعمة الصحة والعافية ، ثم النعمة الكبرى التي من الله بها علينا في الحادثة الكبرى حادثة الخليج بعد عدوان عدو الله صدام وجنده واجتياحه لبلد الكويت ، ثم يسر الله للدولة أن قامت بدورها في هذا الأمر ، وقامت القيام العظيم لرفع هذا الظلم واستعانت بالله العظيم ، ثم بالجنسيات المشتركة المتعددة التي ساعدت في رفع هذا الظلم[1] .

(١) جريدة المدينة ـ السبت ٢٨ رجب ١٤١٢هـ.

أدب الخــلاف

ولقد أحسن وأجـاد وأفاد فضيلة الدكتـور الشيخ صالح ابن عبد الله بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام المعروف بعلمه وفـضله واتزانه وإتقـانه، لقـد أحسن فـيـما قـال وكـتب عن أدب الخلاف فى هذا الوقت المناسب الذى تدعو إلى مثله الحاجة بإلحاح شديد ، فوضع النقاط على الحروف ، وأتى بالمتفق عليه بين الجميع مما هو مـعـروف ، وأظن أنه لو التـزم أصـحاب الخـلاف بما قـاله الشيخ صالح بن حميد فى رسالته القيمة هذه لما ظهر ما ظهر ، ولما حـصل مـا حـصل ، من الفُـرقـة والعـداء والـسب والشـتم والرد والمردود.

يقول فضيلة الشيخ صالح فى كتابه :

« يجب الجـدُّ فى السـعى مـن أجل إحـيـاء الأخــوة الإسلامية الحقة لتلتقي الأمة بفئاتها وجماعاتها على نصرة دين الله حبـاً فيـه وولاءَ لله ولرســوله صلى الله عليـه وآله وسلم انتمـاء يستعـلي على كل انتماء ، والخطاب فى هذا اللقاء أيـها الإخوة .. موجهٌ إلى أهل العلم والفكر.. علمـاء وطلبة علم.. تُطرح القضايا والمسائل على بساط الـبحث ، ويُبذل الجهد فى تميـيز الصواب من الخطأ، يحـترم رأى كل مـجتـهد سـواء كان مـخطئاً أو مـصيـباً، والتـحـامل على المجـتهـد أو تجـرِيحـه مسلكٌ فـى العلم منكور ، وخطؤه لا يبيح النيل من عرضه ، ولا يـسوغ تلمس المعايب للبرآء

والتشهي بإلصاق التهم بالناس.

إن على أهل العلم والدعوة أن يستبينوا قيمة ما يدعون إليه ، فليس الحق حكراً على مسلك ، والخلاف في الرأي لا يجوز أن يكون مصدر لجاجة أو غضب ، إن من شأن المجتهدين أن يختلفوا ، ونتائج هذا الاختلاف مقبولةٌ من غير تشنج ولا تعصب ومن غير أن ينبني على هذا شقاق ، أو تتنامى بسببه أحقاد ، إن حق النقد لا يجعل الحق حِكراً على الناقد.

من المؤسف ومن القصور أن يتحول الخلاف في وجهات النظر إلى عناد شخصي وانتصار ذاتي إلى عداء ماحق ، ومن المبكي أن يبدأ الخلاَف في فرعية صغيرة فيرقى إلىّ الاتهام في أصول الإسلام وقواعد الديانة .

إن سوء الأدب في الجدل والمناظرة يُسوغ لأصحابه استحلال أعراض المسلمين ولا سيما العلماء والدعاة ، فيتحول الاهتمام إلى تتبع الزلات وتلمس العثرات ، فَيُتبع كثيرٌ من الظن من أجل أن قليله كان صواباً .

إن الداعي لمثل هذه الكلمات ـ أيها الإخوة في هذا اللقاء الطيب ـ أن رجالاً أفذاذاً وعلماء أجلاء خدموا هذا الدين ، وبلغوا في العلم مبلغاً جاهدوا في الله وكافحوا من أجل دينه ذكاء في العقول وزكاة في النفوس ، أثرهم في الناس ظاهرٌ وقدم صدقهم في نصرة الحق ألا نغلو فيهم ، فنبرز أخطاءهم ونعادي من خالفهم ، كما أنه لا يسوغ أن نجفوهم فنستحل أعراضهم

ونتنكر لجليل أعمالهم ونزدرى جهودهم ، فكل عالم يُؤخذ من قوله ويُترك ، وفرق بين نقد عالم من علماء المسلمين له باعٌ فى العلم والدعوة وأثرٌ حسن على الأمة، وبين الرد على مُلحد متجن أو كافرٍ مغْرض أو مُستشرقٍ حاقد.

من هذا المنطلق وهذه النظرة - أيها الإخوة - تكون بدايات هذا الحديث ،حيث نبين الخلاف وأنواعه فى حياة الناس، ثم نشير إلى نماذج من أدب الصحابة والسلف، ونخلص إلى بعض الآداب فى هذا الباب»[1] .ا.هـ

(١) « أدب الخلاف » للشيخ صالح بن عبد الله بن حميد ص ٦ - ٨ .

خطبة الجمعة بتأييد الموقف

وفى خطبة الجمعة بتاريخ ٢٨ جمادى الآخرة ١٤١٢هـ بالمسجد الحرام ، تكلم فضيلة الشيخ صالح بن حميد فى نفس الموضوع ، مؤكداً تحذيره من الخلاف والشقاق ، ومحذراً من هذه الفتنة الهوجاء فقال :

« أيها الإخوة فى الله ، عقيدة التوحيد تجمعنا، ودار السلام تؤوينا ، ولكن من المحزن أن يحس المسلم الغيور بغارات شعوائية يشنها خصوم الإسلام على الإسلام ، ولأمة الإسلامَ خصومٌ من الداخل والخارج ، أغراضٌ متباينة وأهواءٌ كامنة وراء اتساع هذه الهجمات ، وإلحاحٌ مقيت من مُسعريها مع كثرة الدخلاء وفشوّ سوق النفاق .

إخوة العقيدة وطلاب الحقيقة، على حساب من تُستثار المشاعر المشبوهة ؟ إن أصحاب الأغراض والأهواء لا يجدون مُتنفسا لما فى صدورهم إلا بتتبع الهفوات واستغلال الزلات وتلفيق الاتهامات ، إن الهوى ما خالط شيئا إلا أفسده ، وبالهوى يخرج العالم من السنّة إلى البدعة ، وبالهوى يقع الزاهد المتزهد فى الرياء والسمعة ، وبالهوى يقع الحاكم والمسئول فى الظلم ويبتعد عن الحق والحكمة ، وإذا زاد الهوى واختلفت النيات ، تولدت الجرأة على الله وعلى الناس ، وفشت الطعون والمكائد ، ونُصبت حبائل المكر وشِبَاكُ الخديعة، ومن ثم تحصل

الفرقة والشحناء ، ويتمكن الأعداء ويذل أهل الإسلام .

إن أهل الأهواء يريدون فى الأمة اختلافا وتنافرا وتنابذا يريدون منها أن تذل بعد عزها وتنحط بعد رفعتها ، يريدون منها أن تتفرق فى دينها شيعاً ومذاهب وأحزاباً .

ثم قال : إن الاختلاف فى وجهات النظر بذاته لا يُثير نزاعاً ولا يُولد تنافرًا، ولكن صاحب الهوى والمُعجب بنفسه يجعل الحق فى كفة ونفسه المخذولة فى كفة ،إن الخلاف العلمى لا يُثير حفائظ النفوس ومكنونات الصدور إلا عند من قل فى دين الله فقهه ، وضَعُفت تربيته وساء قصده ونيته ، أما العلماء الراسخون والدعاة الصادقون والكتاب المخلصون ، فأولئك عن هذا مبعدون .

ذلكم أيها الإخوة لأن سُنة الله فى البشر أن يختلفوا ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ..﴾ الفقهاء والعلماء والدعاة ليسوا بدعًا من البشر ، وليسوا بخارجين عن هذه السنة ، فالأنظار متفاوتة والأدلة مختلفة والاستنتاج متباين ، وكل ذلك خلافٌ سائغ ووجهات نظر محترمة ، ومن أصاب من أهل الاجتهاد فله أجران ، ومن أخطأ فله أجر.

ثم قال : إن من علامات الرجولة ودلالات الكمال أنك حين تُخالف امرءً فى تفكيره أو تُعارضه فى وجهات نظره ،

لاينطوى فؤادك على كرهه ، أو يمتلىء صدرك بالغيظ منه وينطلق لسانك بتجريحه واتهامه ، إن من المعاصى أن ترى كاتبا مُغرضًا أو قارئًا سيئًا أو مُستمعًا مُتجنيًا يُطالع فى سير الرجال ، ويقرأ فى كتبهم ويستمع إلى تسجيلاتهم ، فلا يستوقفه إلا ما يُنسب إليهم من هنات ، أو يزلون فيه من أخطاء، أما ما أفاء الله عليهم من محامد ، وما قدموا للناس من حق وخير ، فلا يأبهون به ولا يذكرونه ، إنهم كجيران السوء، إذا رأوا خيراً دفنوه وإذا رأوا شراً طاروا به وأذاعوه ، وإن التماس الأخطاء وتحريف الكلم وتأويل النصوص من أجل التشهير والتنقيص ، لا يُقيم عوجًا ولا يرفع خسيسة ، وبالله نعوذ وإليه نلتجئ من أقوام رائدهم الهوى وقائدهم الشيطان ، وحاكمهم التعصب ومركبهم التجنى ، بالله نستغيث من فئة تتلمس العيب للبرآء والخطأ للمصيبين والذنب لمن لا ذنب له ، إن المؤمن الحق ورجل الدعوة الصدق ، هو الذى يملك نفسه فى مثل هذه المقامات ويثبت عند هذه المُنعطفات ، يملك زمام لسانه وفكره وقلمه من أن يفلت بسبب كلمة طائشة أو وشاية حاقدة ». « انتهى ، من تسجيل الخطبة ».

المملكة ليست مصدراً للتكفير أو الهجوم والتجريح

ويُعْرف بما سبق من الأقوال لكبار علماء المملكة العربية السعودية ، وبما هو معروفٌ من منهج ولاة الأمور وسياستهم الحكيمة الرشيدة وتصريحاتهم ، وأقوالهم وطريقتهم الواضحة البينة فى تعاملهم مع الأمة من جميع أجناس العالم الإسلامى الوافدين إلى الحرمين للحج والعمرة والجوار ، أو إلى عامة أطراف المملكة للإقامة والتعلم والعمل والتجارة ، وفيهم أرباب المذاهب المختلفة والمشارب المتنوعة ، والأفكار المتعددة المنسوبين للإسلام تحت لواء (**لا إله إلا الله محمد رسول الله**).

والمملكة ـ والحمد لله ـ تستقبلهم بصدر رَحْب ، وتوفر لهم كل أمن وأمان وراحة واطمئنان، وتحفظ لَهم حقوقهم المشروعة لهم ، وتدعوهم إلى الخير وإلى التزام منهج الحق والصواب ، منهج أهل السنة والجماعة والبعد عن كل سوء وشر وفتنة وبدعة وضلالة ، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بوسائله المعلومة وطرقه المرسومة التى تناسب كل آمرٍ وكل مأمور بحسب درجته ورتبته وحالته.

وكلهم يعلمون العلم الذى لا شك فيه بأن المملكة العربية السعودية هى دولة العلم والإيمان ، وهى دولة الأمر

بالمعروف والنهى عن المنكر، وهى دولة العقيدة السلفية التى قامت بها وعليها ولا تزال بفضل الله تعالى كذلك .

ولكن بعض المُرتزقة يستغل هذا الجو الآمن فيأتى إلى بلادنا هذه ليتعلم ويدرس وإذا به يَنْقل إلينا همومه وغمومه ، ومشكلاته وظلماته وما يدور فى بلاده من فتن وخلافات، ثم يستجيب له بعض إخواننا فى الجامعات السعودية غفلة منه (وهى غفلة الصالحين) واستغفالاً من ذلك المُرتزق الوافد الغريب ...

أقول: يستجيب له بعض إخواننا الكرام فى بعض الجامعات، فيفتح له الباب ويحتضنه فى بحثه أو مقالاته أو رسالته الجامعية التى ينال بها أعلى الدرجات وأعظم المراتب والأوسمة بكتاب يهجم فيه على قومه ، ويفتح النار على أهل مذهبه ممن هو منهم وقد كان معهم .

فهذا إفريقى مثلاً يتخذ بلادنا وجامعاتنا مصدراً ليفتح نار التكفير والتضليل على جماعته الأفارقة ، ومثله مغربى أو شنقيطى أو سودانى أو أفغانى .. الخ .

وهذا أشعرىٌ أو ما تريدىٌ يلجأ إلينا ، وإذا به يخرج على الأمة بصكوك التكفير للأشاعرة والماتريدية على وجه العموم ، وفيهم كبار رجال العلم والمعرفة من السلف والخلف أمثال النووى وابن حجر.

وهذا حنفى (هندى أو أفغانى) وهذا مالكى (مغربى

أو شنقيطى) وهذا شافعى (يمانى أو مصرى) ممن احتضنتهم بلادنا واستقبلتهم جامعاتنا وأنفقت عليهم دولتنا الأموال الطائلة، نراهم يخرجون علينا وعلى الأمة برسائل جامعية يخلعون فيها ألقاب التكفير والتضليل والتفسيق والتبديع لعلماء الأمة وأئمتها من الحنفية أو المالكية أو الشافعية أو الحنابلة ، وهم من أهل بلدهم ومن جماعتهم.

ولا يبعد أن يكون (هذا المؤلف المرتزق الوافد الدخيل) منهم، بل ومن العناصر الأصيلة فيهم ، وكل ذلك لينال عندنا مقاماً كريماً ويفوز فوزاً عظيمًا ويتحصل على الشهادة السامية والدرجة العالية متقربا ومتُزلفا مستغلا سماحتنا الإسلامية ، وعقيدتنا السلفية ، وتشجيع دولتنا للعلماء وترحيبها بطلاب العلم والباحثين واستقبالها للاجئين واللائذين الذين أخرجوا من بلادهم ظلما وعدوانا وهددوا فى ديارهم وهم بين أهليهم ، فلم يكن لهم بعد الله إلا هذا البلد المضياف ، وهذه الساحة المشرفة المكرمة المطهرة العزيزة المحفوظة التى لم تكن ولن تكون أبدا مركزا للهجوم والتجريح أو التكفير والتضليل والتبديع والتفسيق وليست منبرا يتكلم منه أرباب المصالح الخاصة والمنافع الشخصية لتحقيق أغراضهم الدنيئة من باب سب وشتم أصحابهم وأهل بلادهم وجماعة مذهبهم بدعوى محبة السلفية والانتصار لها والجهاد من أجلها!!! سبحانك هذا بهتانٌ عظيم .

ولنختم هذا المبحث بخلاصة محاضرة فضيلة الشيخ

محمد بن صالح بن عثيمين التى ألقاها فى القصيم :

كتب محمد الطوبان من بريدة :

أوصى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين طلاب كليتى الشريعة وأصول الدين والعلوم العربية والاجتماعية بالقصيم بتقوى الله عز وجل فى طلب العلم وجعله خالصا لوجه الله تعالى ، واحترام وتقدير العلماء والأساتذة ، والأخذ من علمهم والتأسى بأخلاقهم وحرصهم على اتباع هدى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى جميع العقيدة ، وأن يكون تصرفهم الدعوى والمنهجى قائما على الحكمة والنظر إلى العواقب لأن العبرة بإكمال الغاية لا بالابتداء .

جاء ذلك فى المحاضرة التى ألقاها فضيلته على الطلاب صباح الإثنين ، حذرهم فيها من الانحراف وراء التيارات الفاسدة التى تخالف الشرع الحنيف.

وفى نهاية اللقاء أجاب فضيلته عن تساؤلات واستفسارات الطلاب ، حيث دار التساؤل حول التكفير والتحزب الدينى ، فحذر فضيلته الطلاب وكل مسلم من الوقوع فى هذا الداء العضال ، وهو التكفير، وذكر بعض الأدلة من الكتاب والسُّنة موضحًا أن من حكم على إنسان بالكفر وهو ليس كذلك ، فيكون هو الكافر والعياذ بالله .

وشدد على النهى من تكفير الحكام والعلماء، لأن

التعدى على هؤلاء بمثل هذا القول يعود ضرره على الأمة بكاملها ، وذلك لعظم ما يحملونه من العلم بالنسبة للعلماء ، ولأهمية ما يقوم به الحكام من تنفيذٍ لأحكام الله والقيام على شرعه.

وبالنسبة للتحزب ، فقد ذكر فضيلته أن ذلك ليس من الإسلام فى شىء ، وهو يُخالف النصوص الشرعية القاطعة التى تنص على الاجتماع والاتفاق ، وأن الطريق الصحيح هو سلوك منهج أهل السنة والجماعة والسلف الصالح بدون غلو ولا تفريط(١).

(١) انتهى من جريدة عكاظ ـ العدد ١٠٨٧٤ ، الثلاثاء ٤ محرم ١٤١٧هـ الموافق ٢١ مايو ١٩٩٦م

ميزان الإيمان

يُخطىء كثيرٌ من الناس ـ أصلحهم الله تعالى ـ فى فهم حقيقة الأسباب التى تُخرج صاحبها عن دائرة الإسلام وتوجب عليه الحكم بالكفر ، فتراهم يسارعون إلى الحكم على المسلم بالكفر لمجرد المخالفة ،حتى لم يبق من المسلمين على وجه الأرض إلا القليل ، ونحن نلتمس لهؤلاء العذر تحسيناً للظن ، ونقول : لعل نيتهم حسنة من دافع واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولكن فاتهم أن واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لابد فى أدائه من الحكمة والموعظة الحسنة ، وإذا اقتضى الأمر المجادلة ، يجب أن تكون بالتي هى أحسن ، كما قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾... وذلك أدعى إلى القبول، وأقرب للحصول على المأمول ، ومخالفته خطأٌ وحماقة .

فإذا دعوت مسلما يُصلى ، ويؤدى فرائض الله تعالى ، ويجتنب محارمه ، وينشر دعوته ، ويُشيد مساجده ، ويُقيم معاهده إلى أمر تراه حقاً ويراه هو على خلافك والرأى فيه بين العلماء مختلف قديما إقرارا وإنكارا فلم يطاوعك فى رأيك فرميته بالكفر لمجرد مخالفته لرأيك فقد قارفت عظيمة نكراء، وأتيت أمرا إدًا نهاك عنه الله ودعاك إلى الأخذ فيه بالحكمة والحُسنى.

قال العلامة الداعى إلى الله الإمام السيد أحمد مشهور الحداد: « وقد انعقد الإجماع على منع تكفير أحد من أهل القبلة ، إلا بما فيه نفى الصانع القادر جلّ وعلا، أو شرك جلى لا يحتمل التأويل ، أو إنكار النبوة ، أو إنكار ما علم من الدين بالضرورة ، أو إنكار متواترٍ أو مُجمع عليه ضرورة من الدين .

والمعلوم من الدين ضرورة، كالتوحيد والنبوات وختم الرسالة بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والبعث فى اليوم الآخر والحساب والجزاء والجنة والنار، يكفر جاحده ، ولا يُعذر أحدٌ من المسلمين بالجهل به ، إلا من كان حديث عهد بالإسلام ، فإنه يُعذر إلى أن يتعلمه ، ثم لا يعذر بعده .

والمتواتر : الخبر الذى يرويه جمعٌ يؤُمن تواطؤهم على الكذب عن جمع مثلهم ، إما من حيث الإسناد كحديث :

« من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»

وإما من حيث الطبقة كتواتر القرآن ، فإنه تواتر على البسيطة شرقًا وغرباً درسًا وتلاوةً وحفظاً، وتلقاه الكافة عن الكافة طبقةً عن طبقة، فلا يحتاج إلى إسناد.

وقد يكون تواتر عمل متوارث ، كتواتر العمل على شىء من عصر النبوة إلى الآن ، أو تواتر علم كتواتر المعجزات ، فإن مفرداتها وإن كان بعضها آحادا لكن القدر المشترك منها متواتر قطعًا فى علم كل إنسان مسلم .

وإن الحكم على المسلم بالكفر فى غير هذه المواطن التى بيناها أمر خطير ، وفى الحديث : « إذا قال الرجل لأخيه : يا كافر ، فقد باء بها أحدهما »[١].

ولا يصح صدوره إلا ممن عرف بنور الشريعة مداخل الكفر ومخارجه ، والحدود الفاصلة بين الكفر والإيمان فى حكم الشريعة الغراء .

فلا يجوز لأى إنسان الركض فى هذا الميدان والتكفير بالأوهام والمظان دون تثبت ويقين وعلم راسخ متين ، وإلا اختلط سيلها بالأبطح ولم يبق مسلم على وجه الأرض إلا القليل .

كما لا يجوز التكفير بارتكاب المعاصى مع الإيمان والإقرار بالشهادتين ، وفى الحديث عن أنس رضى الله تعالى عنه قال صلى الله عليه وآله وسلم : « ثلاث من أصل الإيمان : الكف عمَّن قال : لا إله إلا الله ، لا نكفره بذنب ولا نخرجه عن الإسلام بالعمل ، والجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر أمتى الدجال لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل ، والإيمان بالأقدار»[٢].

وكان إمام الحرمين يقول : لو قيل لنا : فصلُوا ما يقتضى التكفير من العبارات مما لا يقتضى ، لقلنا : هذا طمعٌ فى غير مطمع ، فإن هذا بعيد المدرك وعر المسلك يستمد من أصول

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة.

(٢) أخرجه أبو داود.

التوحيـد ، ومن لم يحظ بنهايات الحقائق ، لم يـتحصل من دلائل التكفير على وثائق .

لذلك نُحذر كل التحـذير من المجازفة بالتكفيـر في غير المواطن السابق بيانهـا ، لأنه جدٌ خطير ، والله تعالى الـهادى إلى سواء السبيل وإليه المصير »[(١)]. ا . هـ

(١) شرح اساس العقيدة الإسلامية (لا إله إلا الله) للإمام أحمد المشهور.

سِبَابُ المسلم فسوق وقتاله كفر

اعلم أن كراهة المسلمين ومُقاطعتهم ومُدابرتهم محرمة ، وكان سِبَابُ المسلم فسوقاً وقتاله كفرًا إذا استحل .

وكفى رادعا فى هذا الباب حديث خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فى سريَّته إلى بنى جذيمة يدعوهم إلى الإسلام ، فلما انتهى إليهم تلقوه ، فقال لهم : أسلموا ، فقالوا : نحن قوم مسلمون ، قال : فألقوا سلاحكم وانزلوا ، قالوا : لا والله ، مابعد وضع السلاح إلا القتل ، ما نحن بآمنين لك ولا لمن معك ، قال خالد: فلا أمان لكم إلا أن تنزلوا ، فنزلت فرقةٌ منهم وتفرقت بقية القوم.

وفى رواية : انتهى خالد إلى القوم فتلقوه ، فقال لهم: ما أنتم ؟ ـ أى: أمسلمون أم كفار؟ ـ قالوا: مسلمون ، قد صلينا وصدقنا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبنينا المساجد فى ساحتنا وأذنا فيها.

وفى لفظ: لم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا، فقالوا : صبأنا صبأنا، قال: فما بال السلاح عليكم؟ قالوا : إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة ، فخفنا أن تكونوا هم فأخذنا السلاح ، قال: فضعوا السلاح ، فوضعوا ، فقال: استأسروا ، فأمر بعضهم فكتف بعضا وفرقهم فى أصحابه ، فلما كان السحر نادى منادى خالد:

من كان معه أسيرٌ فليقتله ، فقتل بنو سليم من كان معهم وامتنع المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم ، وأرسلوا أسراهم . فلما بلغ النبى صلى الله عليه وآله وسلم مافعل خالد ، قال: « اللهم إنى أبرا إليك مما صنع خالد » ، قال ذلك مرتين .

وقد يقال: إن خالدًا فهم أنهم قالوا ذلك على سبيل الأنفة وعدم الانقياد إلى الإسلام ، وإنما أنكر عليه صلى الله عليه وآله وسلم العجلة وعدم التثبت فى أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم صبأنا ، فخالد معذور ، كيف وقد قال عليه الصلاة والسلام : « نعم عبد الله أخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكافرين والمنافقين ».

وكذلك قصة أسامة بن زيد حبُّ رسول الله وابن حبه فيما رواه عنه البخارى عن أبى ظبيان قال: سمعت أسامة بن زيد يقول: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحرقة ، فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله ، فكف الأنصارى عنه ، وطعنته برمحى حتى قتلته ، فلما قدمنا بلغ النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال: « يا أسامة! أقتلته بعد ماقال لا إله إلا الله ؟» قلت : كان متعوذا ، فما زال يكررها حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت ذلك اليوم.

وفى رواية أخرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له:« ألا شققت على قلبه ، فتعلم أصادق أم كاذب؟ ».

قال أسامة : لا أقاتل أحدًا يشهد أن لا إله إلا الله .

وقد سئل على ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن المخـالفين له من الفـرق أكفـارٌ هم ؟ قـال: لا ، إنهم من الكفـر فـروا ، فقـيل : أمنافقون هم؟ فقـال : لا ، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليـلا ، وهؤلاء يذكـــرون الله كثيرًا ، فقيل : أى شىء هم ؟ قـال : قوم أصابتهم الفتنة فعموا وصموا.

أقوال السلف وبعض العلماء في التحذير من التكفير

روى أبو يعلى والطبراني في « الكبير » أن رجلا سأل جابرًا رضى الله تعالى عنه : هل كنتم تدعون أحدا من أهل القبلة مشركا؟ قال: معاذ الله ، ففزع لذلك . قال : هل كنتم تدعون أحدا منهم كافرا؟ قال: لا.

وروى أبو يعلى عن يزيد الرقاشي أنه قال لأنس بن مالك: يا أبا حمزة ! إن ناسا يشهدون علينا بالكفر والشرك، قال: أولئك شرُّ الخلق والخليقة[١].

قال الإمام أحمد: إن الإيجاب والتحريم والثواب والعقاب والتكفير والتفسيق هو إلى الله ورسوله ، ليس لأحد في هذا حكم، وإنما على الناس إيجاب ماأوجبه الله ورسوله ، وتحريم ماحرمه الله ورسوله ، وتصديق ما أخبر الله به ورسوله[٢].

وقال الطحاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: هم أهل القبلة ، ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم يظهر منهم شيءٌ من ذلك ، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى ، وذلك لأنا قد أمرنا بالحكم بالظاهر، ونهينا عن الظن واتباع ما ليس لنا به من علم[٣].

---

(١) مجمع الزوائد ١ : ١٠٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٥ : ٥٥٤.

(٣) العقيدة الطحاوية ص ٤٢٧.

وقال الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ : والذى ينبغى أن يميل المحصل إليه : الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلا ، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) خطأ، والخطأ فى ترك ألف كافر فى الحياة أهون من الخطأ فى سفك محجمة من دم مسلم(١) .

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : الكفر من الأحكام الشرعية ، وليس كل من خالف شيئا علم بنظر العقل يكون كافرا، ولو قدر أنه جحد بعض صرائح العقول، لم يُحكم بكفره حتى يكون قوله كُفراً فى الشريعة(٢) .

وقال أبو بطين : وبالجملة ؛ فيجب على من نصح نفسه أن لا يتكلم فى هذه المسألة إلا بعلم وبرهان من الله ، وليحذر من إخراج رجل من الإسلام لمجرد فهمه واستحسان عقله ، فإن إخراج رجل من الإسلام أو إدخاله فيه أعظم أمور الدين ، وقد كُفينا بيان هذه المسألة كغيرها ، بل حكمها فى الجملة أظهر أحكام الدين ، فالواجب علينا الاتباع وترك الابتداع(٣) .

فاتضح لنا مما سبق من نصوص الكتاب والسُّنة، وأقوال الصحابة ومن سار على طريق السلف من العلماء المتقدمين والمتأخرين ، أن الحكم على المسلم بالخروج عن دين الإسلام ، أو

---

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد ص١٥٧ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٢ : ٥٢٥ .

(٣) رسالة الكفر الذى يعذر صاحبه بالجهل وحكم من يكفر غيره من المسلمين. لأبى بطين ص ٢١ .

الدخول فى الكفر لا ينبغى أن يُقدِمَ عليه مسلمٌ يؤمن بالله واليوم الآخر إلا ببرهان أوضح من شمس النهار . وحتى من ثبت لنا كفره ببرهان واضح، فرأينا منه كفرا بواحا، فإنا نحكم عليه بالكفر مع احتياط وتحرز في اللفظ، فلا نتعدى الإطلاق الذى أطلقه الكتاب والسُّنة، ولاً نتعدى منهج السلف فى التكفير، فقد كانوا يعرضون ما ظهر من الناس على ما جاء فى الكتاب والسُّنة ، فإن وجدوا فيهما إطلاق الكفر أطلقوه ، وإن لم يجدوا توقفوا وحكموا على القائل أو الفاعل بالخطأ والذنب العظيم ، ثم إنه يستفسر هذا القائل أو الفاعل عن مراده ، فإن اتضح أنه يريد الكفر حكم عليه به ، وإلا اكتفى بإطلاق الخطأ أو المخالفة أو الفسق عليه دون التكفير الاعتقادى[١] .

---

(١) هذه النصوص والخلاصة فى رسالة : « ضوابط التكفير » للدكتور حسن العواجى مع التصرف المناسب.

مقام الخالق ومقام المخلوق

إن الفرق بين مقام الخالق والمخلوق هو الحدُّ الفاصل بين الكفر والإيمان ، ونعتقد أن من خلط بين المقامين فقد كفر - والعياذ بالله تعالى - .

ولكل مقام حقوقه الخاصة ، ولكن هناك أمورٌ ترد في هذا الباب وخصوصا فيما يتعلق بالنبى صلى ا لله عليه وآله وسلم وخصائصه التى تميزه عن غيره من البشر وترفعه عليهم ، هذه الأمور قد تشتبه على بعض الناس لقصر عقولهم وضعف تفكيرهم وضيق نظرهم وسوء فهمهم ، فيبادرون إلى الحكم بالكفر على أصحابها وإخراجهم عن دائرة الإسلام ظنا منهم أن فى ذلك تخليطا بين مقام الخالق والمخلوق ، ورفعا لمقام النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى مقام الألوهية ، وإننا نبرأ إلى الله سبحانه وتعالى من ذلك.

وإننا بفضل الله تعالى نعرف ما يجب لله تعالى ، وما يجب لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ونعرف ماهو محض حقّ لله تعالى ، وماهو محض حق لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم من غير غلو ولا إطراء يصل إلى حدّ وصفه بخصائص الربوبية والألوهية فى المنع والعطاء والنفع والضر الاستقلالى (دون الله تعالى) والسلطة الكاملة والهيمنة الشاملة والخلق والملك والتدبير والتفرد بالكمال والجلال والتقديس والتفرد بالعبادة

بمختلف أنواعها وأحوالها ومراتبها.

أما الغلو الذى يعنى التغـالى فى محبته وطاعـته والتعلق به، فهذا محبوبٌ ومطلوب كما جاء فى الحديث: « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم » .

والمعنى : أن إطراءه والتغالى فيه والثناء عليه بما سوى ذلك هو محـمود ، ولو كـان معناه غيـر ذلك لكان المراد هو النهى عن إطرائه ومدحـه أصلا ، ومعلومٌ أن هذا لا يقوله أجـهل جاهل فى المسلمين ، فإن الله تعالى عظم النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأمر بتـعظيمـه فى القرآن بأعلى أنواع التـعظيم ، فيـجب علينا أن نُعظم من عظمـه الله تعالى وأمر بتـعظيمه.. نعم يجب علينا أن لا نصفه بشىء من صفات الربوبية ، ورحم الله القائل حيث قال :

دع مـــا ادعتـه النصــارى فـى نبيهـــم

واحكم بما شئت مدحــا فيه واحتكم

فليس فـى تعظيـمـــه صلى الله عليـه وآله وسلم بغـيـر صـفـات الربوبيـة شىءٌ من الكفـر والإشـراك، بل ذلك من أعظم الطاعات والقـربات ، وهكذا كل من عظمهم الله تعالى كـالأنبياء والمرسـليـن صلـوات الله وسلامـه عليهم أجـمعين ، وكـالملائكة والصديقين والشهداء والصالحين.

قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾.

وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾

ومن ذلك الكعبة المعظمة والحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه السلام ، فإنها أحجار وأمرنا الله تعالى بتعظيمها لأنها من الشعائر والحرمات المنصوص عليها كما جاء فى القرآن وذلك يكون بالطواف بالبيت ومس الركن اليمانى ، وتقبيل الحجر الأسود وبالصلاة خلف المقام وبالوقوف للدعاء عند المستجار وباب الكعبة والملتزم ، ونحن فى ذلك كله لم نعبد إلا الله تعالى ، ولم نعتقد تأثيراً لغيره ولا نفعا ولا ضرا ، فلا يثبت شىء من ذلك لاحدٍ سوى الله تعالى .

مقام المخلوق

أما هو صلى الله عليه وآله وسلم فإننا نعتقد أنه صلى الله عليه وآله وسلم بشرٌ يجوز عليه ما يجوز على غيره من البشر من حصول الأعراض والأمراض التى لا تُوجب النقص والتنفير ، كما قال صاحب العقيدة :

وجائز فى حقهم من عرض ● بغير نقص كخفيف المرض

وأنه صلى الله عليه وآله وسلم عبد لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشورًا إلا ما شاء الله .

قال تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

وأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة ونصح الأمة وكشف الغُمة وجاهد فى سبيل الله حتى أتاه اليقين ، فانتقل إلى جوار ربه راضيًا مرضيًا، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾.

وقال : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾.

والعبودية هى أشرف صفاته صلى الله عليه وآله

وسلم ، ولذلك فإنه يفتخر بها ويقول : « إنما أنا عبد » ووصفه الله تعالى بها فى أعلى مقام ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾.

وقال : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾.

والبشرية هى عين إعجازه ، فهو بشرٌ من جنس البشر ، لكنه متميزٌ عنهم بما لا يلحقه به أحدٌ منهم أو يساويه ، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم عن نفسه فى الحديث الصحيح : « إنى لست كهيئتكم ، إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى » ...

وبهذا ظهر أن وصفه صلى الله عليه وآله وسلم بالبشرية يجب أن يقترن بما يميزه عن عامة البشر من ذكر خصائصه الفريدة ومناقبه الحميدة ، وهذا ليس خاصاً به صلى الله عليه وآله وسلم ، بل هو عامٌ فى حق جميع رسل الله سبحانه وتعالى لتكون نظرتنا إليهم لائقة بمقامهم ، وذلك لأن ملاحظة البشرية العادية المجردة فيهم دون غيرها هى نظرة جاهلية شركيةٌ ، وفى القرآن شواهد كثيرة على ذلك، فمن ذلك قول قوم نوح عليه السلام فى حقه فيما حكاه الله تعالى عنهم إذ قال: ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾.

ومن ذلك قول قوم موسى وهارون عليهما السلام فى حقهما فيما حكاه الله تعالى عنهم إذ قال: ﴿ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾.

ومن ذلك قول ثمود لنبيهم صالح عليه السلام فيما حكاه الله تعالى عنهم بقوله : ﴿ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾.

ومن ذلك قول أصحاب الأيكة لنبيهم شعيب عليه السلام فيما حكاه الله تعالى عنهم بقوله : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾.

ومن ذلك قول المشركين فى حق سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد رأوه بعين البشرية المجردة فيما حكاه الله تعالى عنهم بقوله : ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ ، ولقد تحدث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن نفسه حديث الصدق بما أكرمه الله تعالى به من عظيم الصفات وخوارق العادات التى تميز بها عن سائر أنواع البشر .

فمن ذلك ماجاء فى الحديث الصحيح أنه قال : « تنام عيناى ولا ينام قلبى » .

وجاء فى الصحيح أنه قال : « إني أراكم من وراء ظهري كما أراكم من أمامي » .

وجاء فى الصحيح أنه قال : « أوتيت مفاتيح خزائن الأرض ».

وهو صلى الله عليه وآله وسلم وإن كان قد مات إلا أنه حيٌّ حياةً برزخية كاملة، يسمع الكلام ويرد السلام ، وتبلغه صلاة من يُصلى عليه ، وتُعرض عليه أعمال الأمة فيفرح بعمل المحسنين ويستغـفر للمسيـئين ، وإن الله تعـالى حـرم على الأرض أن تأكل جسده ، فهو محفوظٌ من الآفات والعوارض الأرضية .

وعـن أوس بـن أوس رضـى الله تعـالى عنه قـال : قـال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من أفضل أيامكم يوم الجمـعة : فـيه خلـق آدم وفيه قـبض ، وفيـه النفـخة وفـيه الصـعقـة ، فأكـثروا علىّ من الصـلاة فيـه ، فإن صـلاتكم معـروضة علىّ » قالوا : يـارسول الله ! وكيف تعـرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟، يعنى بليت، فقال: « إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » .

رواه أحمـد وأبـو داود وابـن مـاجـه وابـن حبـان فـى « صحيحـه» والحاكم وصححه. وفى ذلك رسالةٌ خـاصة للحافظ جلال الدين السيوطى أسماها «إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء» .

وعن ابن مـسعـود رضى الله تعـالى عنه عن رسـول الله صـلـى الله عليـه وآله وسلم قال : « حـياتى خـير لكم تحـدثون ويحدث لكم ، فـإذا أنا مت كانت وفـاتى خيرًا لكـم تعرض علىّ أعمـالكم فإن رأيت خيرًا حـمدت الله وإن رأيت شرًا اسـتغـفرت لكم » .

قال الهيثمى : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « ما من أحد يسلم علىَّ إلا رد الله علىَّ روحى حتى أرد عليه السلام». رواه أحمد وأبو داود.

قال بعض العلماء : رد علىّ روحى : أى نطقى .

وعن عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله وَكّل بقبرى ملكًا أعطاه الله أسماع الخلائق ، فلا يصلى علىَّ أحد إلى يوم القيامة إلا أبلغنى باسمه واسم أبيه ، هذا فلان بن فلان قد صلى عليك » .

رواه البزار وأبو الشيخ ابن حبان ولفظه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « إن لله تبارك وتعالى ملكاً أعطاه أسماع الخلائق فهو قائم على قبرى إذا مت ، فليس أحد يصلى علىّ إلا قال : يامحمد! صلى عليك فلان بن فلان ، قال : فيصلى الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا» . رواه الطبرانى فى « الكبير » بنحوه . وقال : ذكر الإمام السبكى أنه جاء بروايتين : أسماء الخلائق ، وأسماع الخلائق[١] .

وهو صلى الله عليه وآله وسلم وإن كان قد مات إلا أن فضله ومقامه وجاهه عند ربه باق لا شك فى ذلك ولا ريب عند أهل الإيمان ، ولذلك فإن التوسلَ به إلى الله سبحانه وتعالى إنما يرجع فى الحقيقة إلى اعتقاد وجود تلك المعانى واعتقاد محبته

(١) شفاء السقام ص ٤٦ .

وكرامته عند ربه وإلى الإيمان به وبرسالته ، وليس هو عبادةً له ، بل إنه مهما عظمت درجته وعلت رتبته فهو مخلوقٌ لايضر ولا ينفع من دون الله تعالى إلا بإذنه.

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ واحِدٌ ﴾.

أمور مشتركة بين المقامين لا تنافى التنزيه

وقد أخطأ كثيرٌ من الناس فى فهم بعض الأمور المشتركة بين المقامين (مقام الخالق ومقام المخلوق) فظن أن نسبتها إلى مقام المخلوق شركٌ بالله تعالى .

ومن ذلك بعض الخصائص النبوية مثلاً ، التى يُخطىء بعضهم فى فهمها ، فيقيسونها بمقياس البشرية ، ولذلك يستكثرونها ويستعظمونها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويرون أن وصفه بها معناه وصفه ببعض صفات الألوهية ، وهذا جهلٌ محضٌ ، لأنه سبحانه وتعالى يُعطى من يشاء وكما يشاء بلا مُوجب مُلزم ، وإنما هو تفضلٌ على من أراد إكرامه ورفع مقامه ، وإظهاراً فضله على غيره من البشر ، وليس فى ذلك انتزاعٌ لحقوق الربوبية وصفات الألوهية ، فهى محفوظةٌ بما يُناسب مقام الحق سبحانه وتعالى ، وإذا اتصف المخلوق بشىء منها فيكون بما يناسب البشرية من كونها محدودة مكتسبة بإذن الله تعالى وفضله وإرادته ، لا بقوة المخلوق ولا تدبيره ولا أمره ، إذ هو عاجزٌ ضعيفٌ لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولانشوراً، وكم من أمور جاء مايدل على أنها حقٌ لله سبحانه وتعالى ، ولكنه سبحانه وتعالى منَّ بها على نبيه صلى الله عليه

وآله وسلم وغيره .

وحينئذ فلا يرفعه وصفه بها إلى مقام الألوهية ، أو يجعله شريكاً لله سبحانه وتعالى .

فمنها: الشفاعة ، فهى لله ، قال الله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّه الشَّفَاعَةُ ﴾، وهى ثابتة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولغيره من الشفعاء بإذن الله كما جاء فى الحديث : «أوتيت الشفاعة » .. وحديث : « أنا أول شافع ومشفع »..

ومنها : علم الغيب ، فهو لله سبحانه وتعالى: ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾، وقد ثبت أن الله تعالى علم نبيه من الغيب ما علمه وأعطاه ما أعطاه ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾.

ومنها : الهداية ، فهى خاصة بالله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ ، وقد جاء أنه صلى الله عليه وآله وسلم له شيء من ذلك فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾. والهداية الأولى غير الهداية الثانية، وهذا إنما يفهمه العقلاء من المؤمنين الذين يعرفون الفرق بين الخالق والمخلوق ، ولولا ذلك لاحتاج أن يقول: وإنك لتهدى هداية إرشاد ، أو أن يقول: وإنك لتهدى هداية غير هدايتنا، ولكن كل ذلك لم يحصل .

بل أثبت له هداية مطلقة بلا قيد ولا شرط ، لأن الموحد منا معشر المخاطبين من أهل الإسلام يفهم معانى الألفاظ ويدرك اختلاف مدلولاتها بالنسبة لما أُضيف إلى الله تعالى ، وبالنسبة لما أضيف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ونظير هذا ماجاء فى القرآن من وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرأفة والرحمة .إذ يقول تعالى: ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، ووصف الله سبحانه وتعالى نفسه بذلك أيضا فى أكثر من موضع فهو سبحانه وتعالى رؤوفٌ رحيم ، ومعلوم أن الرأفة والرحمة الثانية غير الأولى، ولما وصف نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بذلك الوصف وصفه به بالإطلاق بلا قيد ولا شرط ، لأن المخاطب وهو موحدٌ مؤمنٌ بالله ، يعلم الفرق بين الخالق والمخلوق ، ولولا ذلك لاحتاج أن يقول فى وصفه صلى الله عليه وآله وسلم : رؤوفٌ برأفة غير رأفتنا ، ورحيمٌ برحمة غير رحمتنا أو أن يقول : رؤوفٌ برأفة خاصة أو رحيمٌ برحمة خاصة ، أو أن يقول : رؤوفٌ برأفة بشرية ورحيمٌ برحمة بشرية ، ولكن كل ذلك لم يحصل ، بل أثبت له رأفة مطلقة ورحمة مطلقة بلا قيد ولا شرط ، فقال : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

العوام ومباحث الصفات في العقيدة

ومن أعظم الفتن التي بلينا بها ممن يدعى السلفية ـ وهم أبعد الناس عن حقائقها وآدابها ـ ما يظهر على الساحة اليوم من كتب ومحاضرات تشغل الناس وأكثرهم من العوام ، وتشغلهم بمباحث عويصة ومشكلة في العقيدة ، مباحث زلت فيها الأقدام ، وضلت فيها الأفهام ، وماثبت فيها إلا الأئمة الأعلام ، وهي مباحث الصفات وغيرها مما يدور في هذا الباب .

قال العلماء: من أعظم الفتن سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلام الله وعن الحروف وأنها قديمةٌ أو محدثة ، وعن الاستواء والنزول واليد ، وما هو، وكيف هو ، والردود الواردة في هذا المجال ، والعامي يفرح بالخوض في هذا العلم ، إذ الشيطان يخيل إليه أنه من العلماء وأهل الفضل، ولا يزال يحبب إليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كفر ، وهو لايدري ، وقد تكون الكبيرة التي يرتكبها العامي أسْلَمَ له من أن يتكلم في هذا الباب من العلم الذي يتعلق بالله وصفاته ، وإنما شأن العوام الاشتغال بالعبادات والإيمان بما ورد به القرآن ، والتسليم بما جاء به الرسل من غير بحث ، وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون به المقت من الله عز وجل ويتعرضون لخطر الكفّر، وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك وهو موجبٌ للعقوبة ، وكل من سأل عن علم غامضٍ ولم يبلغ فهمه

تلك الدرجة فهو مذموم ، فإنه بالإضافة إليه عامى ، ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم كما جاء فى الحديث الصحيح « ذرونى ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم » .

وفى الحديث المتفق عليه : « نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال» .

وجاء فى الصحيحين قال صلى الله عليه وآله وسلم «يوشك الناس يتساءلون حتى يقولوا : قد خلق الله الخلق ، فمن خلق الله ؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ، حتى تختموا السورة ، ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم » .

فاشتغال العوام بمسائل العقيدة العلمية التى تحتاج إلى أهلية من أعظم الآفات ، وهو من المُثيرات للفتن ، فيجب دفعهم ومنعهم من ذلك ، وخوضهم فى حروف القرآن يُضاهى حال من كتب الملك إليه كتابًا ورسم له فيه أمورًا ، فلم يشتغل بشىء منها ، وضيع زمانه فى أن قرطاس الكتاب عتيقٌ أم حديث، فاستحق بذلك العقوبة لا محالة ، فكذلك تضييع العامى حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهى قديمة أم حديثة ، وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى .

قال العلماء : وليس المراد بالعوام السُّوقية والأجلاف من أهل السواد فقط، بل فى معنى العوام الأديب والنحوى والفيلسوف والمتكلم، بل كل عالمٍ سوى المتجردين لعلم السباحة فى بحار المعرفة ، القاصرين أعمارَهم عليه ، الصارفين وجوههم عن الدنيا والشهوات ، المعرضين عن المال والجاه والخلق وسائر اللذات ، المخلصين لله تعالى فى العلوم والأعمال ، القائمين بجميع حدود الشريعة وآدابها فى القيام بالطاعات وترك المنكرات ، المفرغين قلوبهم بالجملة عن غير الله ، المستحقرين للدنيا بل للآخرة فى جنب محبة الله تعالى ، فهؤلاء هم أهل المعرفة والأهلية ، وهم مع ذلك كله على خطر عظيم يهلك من العشرة تسعة إلى أن يسعد واحدٌ منهم بالمعرفةً والفقه والدين والفتح المبين .

من شُعب التكفير

الكِبر والعُجب والاحتقار

من الظواهر الواضحة التى تميز بها هؤلاء المُكفرون للمسلمين أو قُل: هؤلاء المسارعون إلى تكفير كل من يُخالفهم أو يُعارضهم فيما يرون أو يعتقدون.

من الظواهر التى لا تنكر؛ إعجابهم بأنفسهم وأعمالهم، والعُجب هو بداية خطيرة لأقبح خلقٍ نهى عنه الإسلام وحذر منه، إنه الكِبْرُ الذى تميز به أول كافرٍ فى الخلق وهو (إبليس) حيث رأى أنَه خيرٌ من آدم وأُعْجِبَ بعمَله، وكان له فيه رصيدٌ كبيرٌ واجتهادٌ عظيمٌ.

قال الإمام القرطبى: كان إبليس من خُزان الجنة، وكان رئيس ملائكة السماء الدنيا، وكان له سلطانها وسلطان الأرض، وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما، وكان يسوس ما بين السماء والأرض، فرأى لنفسه بذلك شرفا وعظمة، فذلك دعاه إلى الكفر فعصى الله فمسخه شيطانًا رجيمًا، فإذا كانت خطيئة الرجل فى كبر فلا ترجه، وإن كانت خطيئته فى معصية فارجه، وكانت خطيئة آدم عليه السلام معصية، وخطيئة إبليس كِبرًا[١].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى (سورة البقرة).

قلت : وهذا العُجب هو الذى دعاه إلى رؤية نفسه فقال : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ ﴾ ، وإلى احتقار آدم والاستهانة به فقال : ﴿ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ فتكبر وكان من الكافرين كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾.

المتكبر عدو الله

ولذلك كان المتكبر بغيضا إلى الله تعالى كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِين ﴾

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾.

والخيلاء والفخر من أوصاف المتكبرين ، والمُتكبر متعرض لأن يطبع الله على قلبه كما قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾.

والمُتكبر مصروف عن آيات الله تعالى كما قال تعالى : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ وقال تعالى : ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين ﴾

وذم الكبر فى القرآن كثيرٌ.

أما فى السُّنة المشرفة فقد جاء فى ذم الكبر أحاديث نبوية وقدسية فمنها : قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : قال صلى

الله عليه وآله وسلم: يقول الله تعالى : { الكبرياء ردائى والعظمة إزارى ، فمن نازعنى واحدًا منهما ألقيته فى جهنم ولا أبالى } رواه بهذا اللفظ ابن ماجه فى كتاب الزهد « باب البراءة من الكبر والتواضع ج ٢/ ص١٣٩٨ » ، وابن حبان فى صحيحه عن ابن عباس، ورواه أيضًا مسلم فى كتاب البر والصلة والأدب « باب تحريم الكبر ج ٨/ ص٣٦» بلفظ (العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعنى عذبته).

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يدخل النار أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، ولا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء » رواه مسلم فى « صحيحه » ج١/ ص ٦٥.

من علامات الكبْر

والكبْر إنما يكون في القلب. ولكن له علاماتٌ في الظاهر تدل علَيه .

فمنها : حُبُّ التقدم على الناس وإظهار الترفع عليهم ، وحُبُّ التصدر في المجالس ، والتبختر والاختيال في المشية ، والاستنكاف من أن يُرد عليه كلامه وإن كان باطلاً . والامتناع من قبوله ، والاستخفاف بضعفة المسلمين ومساكينهم.

ومنها : تزكية النفس والثناء عليها ، والفخر بالآباء من أهل الدين والفضل، والتبجّح بالنسب ، وذلك مذمومٌ ومستقبحٌ جدًا ، وقد يُبتلى به بعض أولاد الأخيار ممن لا بصيرة له ولا معرفة بحقائق الدين.

ومن افتخر على الناس بنسبه وبآبائه ذهبت بركتهم عنه ، لأنهم ما كانوا يفتخرون ولا يتكبرون على الناس ، ولو فعلوا ذلك لبطل فضلهم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: « من بطأ به عمله لم يُسرع به نسبه » رواه مسلم في كتاب « الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار » باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ج ٨/ ص٧١ واللفظ له .

وعن أبي نضرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا

لعجمي على عربى ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى » الحديث.

وقال الهيثمى فى « مجمعه » : ورجاله رجال الصحيح (كتاب الحج - باب الخطب فى الحج ج٣/ ص٢٦٦).

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله تعالى ذكره قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرَها بالآباء، مؤمن تقيّ، وفاجر شقيّ، أنتم بنو آدم ، وآدم من تراب ، ليدَعنَّ رجالٌ فخرَهم بأقوام ، إنما هم فحمٌ من فحم جهنم، أو ليكوننَّ أهون على الله من الجعلان[1] التى تَدفع بأنفها النَّتْنَ ». رواه أبو داود فى كتاب الأدب باب التفاخر بالأحساب ج٢/ ص٦٢٤.

قال الإمام عبد الله بن علوى الحداد :

ثم لا تغترَّ بالنسب ... لا ولا تقنع بكان أبى
واتَّبع فى الهدى خير نبي ... أحمد الهادى إلى السُّنن

(١) الجعْلان جمع جُعَل وهو دابة سوداء من دواب الأرض .

العُجْبُ مفتاح الشرور

أما العُجْبُ فهو مذمومٌ فى كتابِ اللّٰه تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى: ﴿ويومَ حنينٍ إِذْ أَعْجبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عنكُمْ شَيْئًا ﴾ ذكر ذلك فى معرض الإنكار.

وقال عز وجل : ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ فرد على الكفار بإعجابهم بحصونهم وشوكتهم.

وقال تعالى : ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ وهذا أيضًا يرجع إلى العُجْب بالعمل.

وقد يُعْجَبُ الإنسان بعمل هو مخطىء فيه كما يُعْجَبُ بعمل هو مصيبٌ فيه .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأبى ثعلبة الخشنى حيث ذكر آخر هذه الأمة وماتؤول إليه من الحوادث والوقائع : « إذا رأيت شحًا مطاعاً وهوى متبعًا وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ». رواه أبو داود والترمذى ، وحسنه ابن ماجه .

وفى حديث: « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان جالسًا فى جماعة من اصحابه ، فذكروا رجلاً وأكثروا الثناء عليه ، فبينا هم كذلك ، إذ طلع عليه الرجل ووجهه يقطر ماء من

أثر الوضوء ، وقد علق نعله بيده ، وبين عينيه أثر السجود ، فقالوا : يارسول الله ! هو هذا الرجل الذى وصفناه ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أرى على وجهه سفعة من الشيطان » . فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « نشدتك الله ! هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك ؟» فقال: اللهم نعم ، رواه أحمد والبزار والدارقطنى من حديث أنس رضى الله تعالى عنه .

وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه: الهلاك فى اثنتين: القُنوط والعُجب .

قال مطرف بن عبد الله بن الشخير : لأن أبيت نائما وأصبح نادمًا أحب إلى من أن أبيت قائما وأصبح مُعجبا ، أخرجه أبو نعيم فى الحلية .

وقيل لعائشة رضى الله تعالى عنها: متى يكون الرجل مسيئا؟ قالت: إذا ظن أنه مُحسن (أى ظن المُعجبين وهو القطع بالإحسان، وهو غير ظن المحسنين فذلك رجاء الإحسان) وقال تعالى : ﴿ لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ ﴾ والمن على المتصدق عليه ينتجه استعظام صدقته، واستعظام العمل هو العُجب ، لأنه لولا إعجابه به لما عده عظيما ، فظهر بهذا أن العُجْب مذموم جدا وهو مفتاح كل شر.

آفـات العجب

وقال الإمام حـجة الإسلام الغزالـى رحمه الله تعـالى : اعلم أن آفات الـعُجب كثيرة ، فـإن العجب يدعو إلى الـكبر لأنه أحد أسبابه، فيتولد من العُـجب الكبر ، ومن الكبر الآفات الكثيرة التى لا تخفى ، هذا مع العباد .

وأمـا مع الله تعالى فـالعجب يدعو إلى نسـيان الذنوب وإهمالها ، فـبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه أنه مُـستغنٍ عن تفقدها فينساها ، وما يتذكره منها ، فيستصغره ولا يستعظمه ، فـلا يجتـهد فى تـداركه وتلافيـه ، بل يظن أنه يُغـفـر له ، وأمـا العبـادات والأعمال فـإنه يستعظمـها ويتبـجح بها ويمن على الله بفعـلها ، وينسى نعـمة الله عليه بالتـوفيق والتمـكين منها ، ثم إذا أُعْجِب بهـا عمى عن آفاتهـا . ومن لم يتفقـد آفات الأعمـال كان أكثرَ سعـيه ضائعًا ، فإن الأعمال الظاهرة إذا لم تكن خـالصة نقية عن الشـوائب قلما تنفع ، وإنمـا يتفـقد من يغلب عليـه الإشفـاق والخوف دون العُجب .

والمُعـجب يغتـر بنفسـه وبرأيه ، ويأمن مكر الله تعـالى وعـذابه ، ويظن أنـه عند الله بمكان ، وأن له عـنده منة وحـقًا بأعـماله التى هى نعـمةٌ من نعـمه وعطيـةٌ من عطاياه، ويخـرجه العُجب إلى أن يُثنى على نفسه ويحمـدها ويُزكّيها ، وإن أُعجب

برأيه وعـمله وعقلـه ، منعه ذلك من الاستـفادة ومن الاسـتشـارة والسؤال ، فيستبد بنفسه ورأيه ، ويستنكف من سؤال من هو أعلم منه .

وربما يُعْـجب بالرأى الخـاطىء الذى خطر له ، فـيـفـرح بكونه من خـواطره ، ولا يفـرح بخواطر غـيره ، فـيـصر عليـه ولا يسـمع نصح ناصح ، ولا وعظ واعظ ، بل ينـظر إلى غيـره بعـين الاستجهال ويصرّ على خطئه ، فإن كان رأيه فى أمر دنيوى فيحقق فيـه ، وإن كان فى أمر دينى لا سـيما فـيما يتـعلق بأصول العـقائد فيـهلك به ، ولو اتهم نفـسه ولم يثق برأيه واسـتضاء بنـور القرآنْ واستـعان بعـلماء الدين وواظب على مـدارسة العلم وتابـع سؤال أهل البصيـرة لكان ذلك يُوصله إلى الحق ، فهذا وأمـثاله من آفات العُجب، فلذلك كان من المهلكات .

ومن أعظم آفاته أن يفتر فى السعى لظنه أنه قد فاز ، وأنه قد اسـتغنى وهو الهلاك الـصريح الذى لا شبـهة فيـه .. نسأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته.

العُجب بالرأى الخطأ من فتن هذه الأمة

وقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلم أن العُجب بالرأى الخاطىء يغلب على آخر هذه الأمة كما جاء فى الحديث :« فإذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعًا وإعجاب كل ذى رأيٍ برأيه فعليك بخاصة نفسك » .

وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها لعُجبهم بآرائهم ، والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق إليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقًا ، وعلاج هذا العُجب أشد من علاج غيره، لأن صاحب الرأى الخاطىء جاهلٌ بخطئه، ولو عرفه لتركه، ولا يُعالج الداء الذى لا يُعرف ، والجهل داءٌ لا يُعرف فتعسر مداواته جداً . لأن العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله ويزيله عنه ، إلا إذا كان معجبا برأيه وجهله ، فإنه لا يصغى إلى العارف ويتهمه ، فقد سلط الله عليه بلية تُهلكه وهو يظنها نعمة ، فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته فى اعتقاده ؟

وإنما علاجه على الجملة أن يكون مُتَّهمًا لرأيه أبدًا لا يغترُّ به ، إلا أن يشهد له قاطعٌ من كتاب أو سنَّة أو دليل عقلٍ صحيح جامع لشروط الأدلة ، ولن يعرفَ الإنسان أدلة الشرعِ والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها إلا بقريحة تامةٍ وعقلٍ

ثاقب وجدّ وتشمّر فى طلب العلم وممارسة للكتاب والسنة ، ومجالسة لأهل العلم طول العمر ، ومدارسة للعلوم ، ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط فى بعض الأمور ، والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره فى العلم أن لا يخوض فى المذاهب ولا يصغى إليها ولا يسمعها ، ولكن يعتقد أن الله تعالى واحد لا شريك له وأنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وأن رسوله صادقٌ فيما أخبر به ويتبع سُنة السلف ، ويؤمن بجملة ماجاء به الكتاب والسُّنّة من غير بحث وتنقيب وسؤال عن تفصيل ، بل يقول: آمنا وصدقنا ، ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصى وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الأعمال ، فإن خاض فى المذاهب والبدع والتعصب فى العقائد والتتبع لأخطاء غيره والتصدى لسقطات الناس هلك من حيث لا يشعر ، وهذا حق كل من عزم على أن يشتغل فى عمره بشىء غير العلم .

فأما الذى عزم على التجرد للعلم فأول مُهم له معرفة الدليل وشروطه ، وذلك مما يطول الأمر فيه ، والوصول إلى اليقين والمعرفة فى أكثر المطالب شديدٌ لا يقدر عليه إلا الأقوياء المؤيدون بنور الله تعالى ، وهو عزيز الوجود جدا[(١)] .

فنسأل الله تعالى العصمة من الضلال، ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال.

---

(١) انظر الإحياء للإمام الغزالى فقد فصل الكلام فى هذا الباب بالكتاب والسنة مع فهم وبصيرة عالية .

التوحيد أعظم النعم وثمرته الطاعة

ثم اعلم أن التوحيد أعظم النعم وأكبرها ، وأنفعها لأهل الدنيا والآخرة ، فعلى من أنعم الله به عليه وأكرمه به ، أن يعرف قدر نعمة الله بذلك ، وأن يسعى فى حفظها ودوام الشكر والاغتباط بها ، وأن يجتهد فى تقوية توحيده وثباته وتأكيده بملازمة الأخلاق الحسنة والأعمال الصالحة ، والطاعات الخالصة التى هى من فروع التوحيد وثمرات الإيمان ، مع الاحتراز والاجتناب لأضداد ذلك من الأخلاق السيئة والأعمال المنكرة التى هى من مُضعفات الإيمان ، ومُوجبات تزلزله واضطرابه حالاً ومآلاً سيما عند الموت .

قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم كما جاء فى الصحيح : «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ».

وكان السلف الصالح رحمهم الله تعالى يقولون : المعاصى بريد الكفر ، فليبذل المؤمن نهاية جهده وإمكانه فى حفظ إيمانه وتقويته، وتأكيده وتثبيت أركانه ، وليستعن بالله تعالى وليصبر على ذلك ويداوم عليه حتى يأتيه اليقين .

الإيمان أحوج ما يكون
إلى حسن التعهد والاحتياط

ثم اعلم أن الإيمـان هـو أصل الأصـول ، وأنـفس النفـائس، وأعـز الأشيـاء،وهو مع ذلك أشـدها خطرًا، وأشـقهـا حـفظًا، وأحوجـهـا إلى حسن التـعـهد والتـفـقد ، وحـسن النظر والاحتياط ، وكل عزيز ونفيس فعلى مثل ذلك يكون ويوجد، ولا يزال المؤمن الشفيق على دينه ، المُحتاط لإيمانه ويقينه ، سائلاً من الله ومتضرعًا إليه فى أن يثبته على دينه وإيمانه ، وأن لا يُزيغ قلبه بعد إذ هـداه إلى التوحـيد ومعـرفتـه ، وأن يكون خائفـا من سلب ذلك وتزلزله ، وقد كان بعض السلف يحلف بالله إنه ما أمن أحدٌ إيمانه أن يسـلبه إلا سُلبَه ، وذُكـرَ عن إبليس لعنه الله أنه قــال : قصم ظهرى الذى يسأل الله حسن الختام .

أقول: متى يُعْجب هذا بعمله ؛ أخشى أنه قد فتن .

فالأمر الذى عليه المدار والتـعويل والذى لا ينبغى لعاقل من أهل الإيمان إلا أن يكون أعظم اهتمامًـا به وأشد حرصًا عليه وسـعيًـا له ، هو سلامـة التوحـيـد وحفظ الإيمـان ، حتى يمـوت ويخـرج من الدنـيـا على ذلك بفـضل الله تعـالـى وحـسن تأييـده وتثبيته ، فإنه إن خرج من الدنيا على ذلك سلم من الشر كله وفاز

بالخير كله دائمًا أبداً .

وإن خرج من الدنيا على خلاف ذلك خسر خسرانًا مبينًا ، وهلك هلاكا مؤبدا والعياذ بالله.

فعقد التوحيد والإيمان هو الذى لا ينفع من فقده شىء بحال كائنا ذلك الشىء ما كان ، ولو كان عمل الأولين والآخرين وحيث بقى مع العبد توحيده وإيمانه وسلما له ، فليس يضره شىءٌ ولو كان عاصيًا مذنبًا ، فإما أن يغفر الله تعالى له أو يعفو عنه ، وإن عاقبه على ذنبه كانت عقوبة منقضية غير مخلدة ولا مؤبدة ، فإنه لا يخلد فى النار مؤمن ، بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان.

الدعاء بالموت على الإيمان

وقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يموتوا على الإيمان والإسلام ووصف أنبياءه ورسله والصالحين من عباده بأنهم يسألونه ذلك ويدعونه به ويتواصون به حرصا عليه وإعظاما له واغتباطا به .

فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

وقال تعالى : ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام:
﴿ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾.

وقال تعالى إخبارًا عن المؤمنين من السحرة حين توعدهم فرعون لعنه الله تعالى : ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾.

البشارة لأهل التوحيد بالنجاة والفوز

وقد وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأحاديث الكثيرة الشهيرة فى بشارة أهل التوحيد والإيمان ومن مات وهو لا يشرك بالله شيئا بالنجاة من النار والفوز بالجنة ، وغير ذلك من الخيرات والدرجات.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » .

وفى رواية لمسلم : « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار ».

وجاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يارسول الله ! ما الموجبات؟ قال : « من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ:« يا معاذ! ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ، صادقا من قلبه إلا حرمه الله تعالى على النار » ، قال : يارسول الله !أفلا أخبر الناس فيستبشروا؟ قال : « إذًا يتكلوا » فأخبر معاذ عند موته تأثمًا !أى مخافة من الإثم فى كتمان هذا العلم .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله تعالى » .

وقـال عليـه الصـلاة والسـلام لأبى هــريـرة رضى الله تعالى عنــه: « اذهب فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة » .

لا يجوز البحث عن المنكرات المستورة

واعلم أنه ليس بواجب على أحد أن يبحث عن المنكرات المستورة حتى ينكرها إذا رآها ، بل ذلك محرم لقوله تعالى : ﴿ وَلا تَجَسَّسُوا ﴾.

ولقول النبى عليه الصلاة والسلام : « من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته » الحديث .

وإنما الواجب هو الأمر بالمعروف عندما نرى التاركين له فى حال تركهم ، والإنكار للمنكر كذلك ، فاعلم هذه الجملة ، فإنا رأينا كثيرا من الناس يغلطون فيها.

ومن المهم أن لا تصدق ولا تقبل كل ما يُنقل إليك من أفعالهم وأقوالهم المنكرة حتى تشاهد ذلك بنفسك ، أو ينقله إليك مؤمنٌ تقى لا يُجازف ، ولا يقول إلا الحق ، وذلك لأن حسن الظن بالمسلمين أمرٌ لازم .

وقد كثرت بلاغات الناس بعضهم على بعض ، وعم التساهل فى ذلك وقلت المبالاة ، وارتفعت الأمانة ، وصار المشكور عند الناس من وافقهم على هوى أنفسهم وإن كان غير مستقيم لله ، والمذموم عندهم من خالفهم وإن كان عبدا صالحا، فتراهم يمدحون من لا يسْتَحق المدح لموافقته إياهم وسكوته على

باطلهم ، ويذمون من يخالفهم وينصحهم فى دينهم .

هذا حـال الأكثر إلا مـن عصـمه الله تعـالـى ، فـوجب الاحتراز والتحفظ والاحتياط فى جميع الأمور، فإن الزمان مفتون، وأهله عن الحق ناكبون، إلا من شاء الله تعالى منهم وهم الأقلون.

وجوب الحكمة فى الدعوة إلى الحق

واعلم أن الرِفق واللُطف ومجانبة الغلظة والعُنف أصلٌ كبير فى قبول الحق والانقياد له ، فعليك بذلكَ مع من أمرته أو نهيته أو نصحته من المسلمين ، وأحسن السياسة فى ذلك، وكلمه خاليًا ولِنْ له جانبًا ، واخفض له جناحًا ، فإن الرفق ماكان فى شىء إلاَ زانه ، ولا نزع من شىءٍ إلا شانه ، كما قال عليه الصلاة والسّلام :

وكما قال الله تعالى لرسوله :﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾.

النهي عن التفرق والاختلاف

وقوله تعالى : ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ نهى من الله تعالى لعباده المؤمنين عن التشبه بالمتفرقين المختلفين في دينهم من أهل الكتاب ﴿وَأُوْلَئِكَ﴾ الذين اختلفوا فى دينهم ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ فاستعظم رحمك الله جداً عذابًا سماه الإله العظيم عظيمًا، وتفكر فيه وانج بنفسك منه، وذلك بملازمة الكتاب والسنة، ومجانبة الزيغ والبدعة ، والآراء المختلفة والأهواء المتفرقة.

الخاتمة فى بيان العقيدة التى بها النجاة

وبعـــــد ..

فإنا والحمد لله قد رضينا بالله رباً وبالإسلام دينًا ، وبسيدنا محمد نبياً ورسولاً ، وبالقرآن إماما، وبالكعبة قبلة ، وبالمؤمنين إخوانا ، وتبرأنا من كل دين يُخالف دين الإسلام ، وآمنا بكل كتاب أنزله الله ، وبكل رسول أرسله الله ، وبملائكة الله ، وبالقدر خيره وشره ، وباليوم الآخر ، وبكل ماجاء به سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله ، على ذلك نحيا وعليه نموت ، وعليه نبعث إن شاء الله من الآمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، بفضلك اللهم يارب العالمين .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد نبياً » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من قال حين يصبح وحين يمسى ثلاث مرات : رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ نبيًا، كان حقًا على الله أن يرضيه » .

تفسير حديث : « رضيت بالله رباً »

واعلموا معاشر الإخوان ، أنه من رضى بالله رباً لزمه أن يرضى بتدبيره واختياره له وبمُرِّ قضائه ، وأن يقنع بما قسمه له من الرزق ، وأن يداوم على طاعته ويحافظ على فرائضه ، ويجتنب محارمه ، ويكون صابرًا عند بلائه، شاكراً لنعمائه، ومحبا للقائه، راضيًا به وكيلاً ووليًا وكفيلا ، مخلصا له فى عبادته ، ومُعتمداً عليه فى غيبته وشهادته ، لا يفزع من المهمات إلا إليه ، ولا يُعول فى قضاء الحاجات إلا عليه سبحانه وتعالى .

ومن رضى بالإسلام دينا عظم حرماته وشعائره ، ولم يزل مجتهدا فيما يؤكده ويزيده رسوخا واستقامة من العلوم والأعمال ، ويكون به مُغتبطًا ومن سلبه خائفاً ، ولأهله مُحترمًا ، ولمن كفر به مُبغضًا ومُعاديًا .

ومن رضى بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيا، كان به مُقتديًا ، وبهديه مُهتديًا، ولشرعه مُتبعًا ، وبسنته مُتمسكًا ولحقه مُعظماً ، ومن الصلاة والسلام عليه مُكثرًا ، ولأهل بيته وأصحابه مُحبًا ، وعليهم مُترضيا مُترحمًا ، وعلى أمته مُشفقًا ولهم ناصحًا.

فينبغى لك أيها المؤمن أن تُطالب نفسك بتحقيق هذه المعانى التى ذكرناها فى معنى قولك : « رضيت بالله ربًّا

وبالإسلام ديناً وبمحــمد نبيًـا » وكلف نفسك الاتصــاف بها ،ولا تقنع منها بمجرد القول ، فإنه قليل الجدوى ، وإن كان لا يخلو عن منفعة .

وكذلك فافـعل فى جميع ماتقوله من الأذكـار والأدعية ونحوها ، وطالب نفسك بحقائقها والاتصاف بمعانيها .

مـثـال ذلك : أن تكون عند قـولك : (سبــحــان الله) ممتلىء القلب بتنزيه الله تعالى وتعظيمه .

وعند قـولك : (الحمـد لله) ممتلـىء القلب بالـثناء على الله تعالى وشكره .

وعند قولك : (رب اغفر لى) ممتلئا من الرجاء فى الله أن يغفر لك ، ومن خوفه أن لا يغفر لك ، فقس على ذلك .

واجتـهد فى الحـضور مع الله تعالـى ، وتدبر معـانى ما تقوله ، واجتهد فى الاتصاف بما يحبه الله تعالى منه، والاجتناب لما يكرهه .

نصوص نبوية فى بيان الإسلام
وصفة المسلم الحق

ونذكر فى هذا المبحث جملةً من الأحاديث النبوية المختارة التى تبين حقيقة الإسلام والمسلم والميزان الحق الذى يُوزن به ويُعتبر معصومًا دمه وماله وعرضه محفوظًا ، له حقوق المسلمين وعليه ما عليهم ، ومعلومٌ أن هذه الموازين إنما تُؤخذ من الكتاب والسُّنة الذى بيّن الحق والباطل والخير والشر ، كما جاء به النور المبين عن الله جل جلاله وعظم شأنه ، فهو الذى يحكم ويقضى ، وهو الذى لا يصح لأحد أن يزيد على حكمه وقضائه شيئاً ولا ينقص منه شيئا لكمال الشريعة وعدم حاجتها لمن يكمل موازينها العامة وأصولها المعتمدة المتفق عليها ، نعم .. باب الاجتهاد مفتوح ، ولكن فى غير هذا المجال والميدان الذى لا حكم فيه ولا قول إلا لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

وإليك بعض هذه النصوص ..

أحاديث نبوية فى الموضوع :

عن عمر رضى الله تعالى عنه أن جبريل عليه السلام سأل النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة

وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » ، قال : صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه.

قال فأخبرني عن الإيمان؟ قال: « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » قال : صدقت .

قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .. إلى آخر الحديث.

وفيه : « يا عمر ! أتدرى من السائل ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم قال: « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » رواه مسلم فى كتاب الإيمان ١ / ٢٩ ».

وروى البخارى نحوه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه فى كتاب « الإيمان » باب « سؤال جبريل النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان » ١ / ١٨ .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « بُنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان ».

رواه البخارى فى كتاب الإيمان « باب قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : بنى الإسلام على خمس » ١ / ٨ .

ورواه مسلم أيضا في « كتاب الإيمان » باب « قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : بني الإسلام على خمس » ١ / ٣٤.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : إن وفد عبد القيس لما أَتَوا النبيَّ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : « مَن القوم؟ أو من الوفد » قالوا : ربيعة ، قال: « مرحبا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى». قالوا: يارسول الله! إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرم ، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ، فمُرنا بأمرٍ فصلٍ نُخبر به من وراءنا وندخل به الجنة.

وسألوه عن الأشربة فأمرهم بأربعٍ ونهاهم عن أربع . أمرهم بالإيمان بالله وحده .

قال: « أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟» قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس» .

ونهاهم عن أربع : عن الحنتم والدباء والنقير والمزفت وربما قال: المقيّر. وقال: « احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم»

رواه البخاري في كتاب الإيمان ، باب « أداء الخمس

من الإيمان» ١/ ١٩ .

وروى مسلم نحوه فى كتاب « الايمان » باب « الإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين » ١/ ٣٥ .

وعنه رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن : « **إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلي أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد علي فقرائهم**» ... الحديث .

رواه البخارى فى كتاب « الزكاة » باب « أخذ الصدقة من الأغنياء وترد فى الفقراء حيث كانوا » ١/ ١١ ـ ١٢ .

ورواه مسلم فى كتاب « الإيمان » باب « الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمدٌ رسولا الله » ١/ ٣٨ .

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله » .

رواه البخارى فى كتاب « الإيمان » باب « قوله تعالى

: ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ ـ١/ ١١ـ١٢.

ورواه مسلم فى كتاب « الإيمان » باب « الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله » ١/ ٣٨.

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله** ».

رواه مسلم فى كتاب « الإيمان » باب « الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله » ١/ ٣٩.

وعن المقداد بن عمرو الكندى رضى الله تعالى عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أرأيت إن لقيت رجلا من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يدى بالسيف فقطعها ، ثم لاذ منى بشجرة فقال: أسلمت لله ، أأقتله يارسول الله بعد أن قالها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **لا تقتله** » فقال : يارسول الله ! إنه قطع إحدى يدى ثم قال ذلك بعد أن قطعها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **لا تقتله ، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله ، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التى قال** » .

رواه البخارى فى كتاب « المغازى » باب (١٢) ٥/ ١٩ .

ورواه مسلم فى كتاب « الإيمان » باب « تحريم قتل الكافر بعد قوله : لا إله إلا الله » ١/ ٦٦ ـ ٦٧ .

وعن أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحُرَقَة من جُهينة، فصبحنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله ، فكَفَّ عنه الأنصارى فطعنته برمحى حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ ذلك النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال لى: « **يا أسامة! أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله ؟** » قلت : يا رسول الله ! إنما كان متعوذا ، قال : فقال: « **أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله** » قال : فما زال يُكرّرها علىّ حتى تمنيتُ أنّى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم .

رواه البخارى فى كتاب « الديات » باب « قول الله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾.

رواه مسلم فى كتاب « الإيمان » باب « تحريم قتل الكافر بعد قوله لا إله إلا الله » ١/ ٦٨ .

وفى رواية لمسلم : « **أفلا شققت عن قلبه** » ؟

وفى أخرى : « **فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة** ».

وروى ابن مردويه عن إبراهيم التيمى عن أبيه عن أسامة

قال : لا أقتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبداً ، قال : فقال سعد بن مالك : وأنا والله لا أقتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبداً ...

وعن أم سلمة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن كره فقد بريء ، ومن أنكر فقد سلم ، ولكن من رضي وتابع ، فقالوا : يارسول الله ! ألا نقاتلهم ؟ قال : « لا ، ما صلّوا** » .

رواه مسلم فى كتاب « الإمارة » باب « وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع ... الخ » ٦/ ٢٣.

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: أن أعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: دُلّنى على عمل إذا عملتُه دخلت الجنة ؟ قال: « تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتُؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان » قال : والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا .

فلما ولّى قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا » .

رواه البخارى فى كتاب « الزكاة » باب« وجوب الزكاة» ٢/ ١٠٩.

ورواه مسلم فى كتاب « الإيمان » باب « بيان الإيمان

الذى يدخل به الجنة » ١/ ٣٣.

وفيه : « لا أزيد على هذا شيئا أبداً ولا أنقص منه » .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه - في حديث الخوارج - فقام رجلٌ غائرُ العينين مشرف الوجنتين ناشزُ الجبهة كَثُ اللحية محلوقُ الرأس مشمَر الإزار - وهو ذو الخويصرة التميمى كما جاء مصرحا فى رواية أبى سعيد أيضا - فقال : يا رسول الله ! اتق الله ! فقال: « **ويلك ! أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله ؟** » .

قال: ثم ولى الرجل ، قال خالد : يارسول الله ! ألا أضرب عنقه ؟ قال : « **لا لعله أن يكون يصلي** » ، قال خالد: وكم من مُصلّ يقول بلسانه ماليس فى قلبه . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **إنى لم أومر أن انقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم** ... الحديث » .

رواه البخارى فى كتاب « المغازى » باب « بعث على بن أبى طلب وخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع » ٥/ ١١٠ .

ورواه مسلم فى كتاب « الزكاة » باب « ذكر الخوارج وصفاتهم» ٣/ ١١١.

وعن عمرو بن مُرَّة الجهنى رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يارسول الله !

أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وصليت الصلوات الخمس وصمت رمضان وقمته فممن أنا ؟ قال: « **من الصديقين والشهداء** » .

رواه ابن حبان وابن خزيمة فى صحيحيهما».

وعن عبيد الله بن عدى بن الخيار أن رجلاً من الأنصار حدثه أنه أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى مجلس فسارّه يستأذنه فى قتل رجل من المنافقين ، فجهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالَ: «**أليس يشهد أن لا إله إلا الله** ؟ » فقال الأنصارى : بلى ، يارسول الله ، ولا شهادة له ، فقال : «**أليس يشهد أن محمداً رسول الله** ؟ » قال: بلى ، ولا شهادة له ، قال : « أولَيس يُصلى ؟» قال: بلى ، ولا صلاة له ، قال : «**أولئك الذين نهي الله عن قتلهم**» .

رواه الشافعى فى « ترتيب المسند » باب الإيمان والإسلام ١/ ١٣ . ورواه أحمد فى « المسند » ٥/ ٤٣٢ .

وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا غزا قوما لم يُغِرْ حتى يُصْبح ، فإذا سمع أذانا أمسك، وإن لم يسمع أذانا أغار بعدما يصبح فنزلنا خيبر ليلاً .

رواه البخارى فى كتاب « الجهاد والسير » باب « دعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم الناس إلى الإسلام

والنبوة...الخ».

وعنه رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُغير إذا طلع الفجر وكان يستمع الأذان فإنْ سمع أذانا أمسك ، وإلا أغار ، فسمع رجلاً يقول : الله أكبر الله أكبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :« **على الفطرة** » ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « **خرجتَ من النار** » فنظروا فإذا هو راعى مِعزى.

رواه مسلم فى كتاب « الصلاة » باب «الإمساك عن الإغارة على قوم فى دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان »٢/ ٤ .

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه إلى بنى جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنا ، صبأنا فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ، ودفع إلِى كل رجلٍ منَّا أسيره ، حتى إذا كان يومٌ أمرَ خالد أن يقتل كلُّ رجلٍ منَّا أَسيرَه ، فقلت : والله لا أقتل أسيرى ولا يقتل رجلٌ من أصحابى أسيره حتى قدمنا على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فذكرناه فرفع النبى صلى الله عليه وآله وسلم يديْه فقال: « **اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد** » مرتين .

رواه البخارى فى كتاب « المغازى » باب « بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة » ٥/

١٠٧

وعن عصـام المزنى رضى اللّٰه تعالى عنه قال: كان النبى صلـى اللّٰه عليه وآله وسلم إذا بعث السـرية يقول: « **إذا رأيـتـم مسجدا أو سمعتم منادياً فلا تقتلوا أحداً** ». رواه أحمد فى «المسند» ٣/ ٤٨٨.

وعـن أنـس رضـى اللّٰه تعـالى عنه قـال: قال رسـول اللّٰه صلى الله عليــه وآله وسلم : « **من صلي صلاتنا ، واستـقبل قبلتنا وأكل ذبيحتـا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمـة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته** ».

رواه البخارى فى كتاب « الصلاة » باب « فضل استقبال الصلاة » ١/ ١٠٢.

وعن عبادة بن الصامت رضى اللّٰه تعالى عنه قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم : « **من شهـد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له وأن محـمداً عـبده ورسـوله ، وأن عـيسي عـبد الله ورسـوله وكلمـتـه ألقـاها إلي مـريم وروح منـه، وأن الجـنـة حـق، والنـار حـق أدخلـه الله الجنة علي ما كان من العمل** ».

رواه البخارى فى كتاب « أحاديث الأنبياء » باب « قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ » الخ ٤/ ١٣٩.

وروى مسلم نحـوه فى كتاب « الإيـمان » باب « الدليل

على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا» ١/ ٤٣.

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاذ : « **ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار** » قال: يارسول الله !أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: « **إذا يتكلوا** » وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً .

رواه البخارى فى كتاب « العلم » باب « من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا» ١/ ٤١.

وعن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة** » .

رواه مسلم فى كتاب « الإيمان » باب « الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا» ١/ ٤١.

وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **ثلاث من أصل الإيمان: الكف عمن قال : لا إله إلا الله لا نكفّره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل** ... » الحديث.

رواه أبو داود فى كتاب « الجهاد» باب « فى الغزو مع أئمة الجور » ٣/ ٨ .

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : سمعت

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار** » .

رواه مسلم فى كتاب « الإيمان » باب « الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا» ١/ ٤٣.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: « **كفُّوا عن أهل لا إله إلا الله لاتكفروهم بذنب، فمن كفر أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر أقرب** ».

رواه الطبرانى فى « الكبير » ١٢/ ١٣٠٨٩.

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قيل : يارسول الله ! من أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك،لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه**».

رواه البخارى فى كتاب « العلم » باب «الحرص على الحديث » ١/ ٣٣.

وروى البخارى فى « صحيحه » معلقاً باب « من حلف بملة سوى الإسلام » وقال : النبي صلى الله عليه وآله وسلم :« **من حلف باللآت والعزَّي فليقلْ: لا إله إلا الله** » ولم ينسبه

إلى الكفر .

« صحيح البخاري » ٧/ ٢٢٣.

وصلى الله على سيدنامحمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

كتبه السيد محمد بن السيد علوي المالكي الحسني

الفهرس

الموضوع	صفحة
كلمة الناشر	٣
تقريظ بقلم أ.د/ علي جمعة مفتي الديار المصرية	٥
تقريظ بقلم أ.د/ جوده محمد أبو اليزيد	٧
تقريظ بقلم د/ محمد فؤاد شاكر	١٧
مقدمة الطبعة الثانية	١٩
القرار الصائب في الوقت المناسب	٢١
مقدمة الطبعة الأولي	٣١
موقف الإمامين ابن تيميةوالشوكاني	٣٦
موقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب	٣٩
رسالة مهمة أخرى للشيخ فى الموضوع	٤١
بيانٌ مهم	٤٢
تأكيد الشيخ ابن باز تحذيره عن المبادرة إلى التكفير والتشهير	٤٤
أدب الخلاف	٤٦
خطبة الجمعة بتأييد الموقف	٤٩
المملكة ليست مصدرا للتكفير أو الهجوم والتجريح	٥٢
محاضرة للشيخ محمد بن عثيمين بهذا الخصوص	٥٥
ميزان الإيمان	٥٧
سباب المسلم فسوق وقتله كفر	٦١
أقوال السلف وبعض العلماء فى التحذير من التكفير	٦٤
مقام الخالق ومقام المخلوق	٦٧
مقام المخلوق	٧٠
أمور مشتركة بين المقامين لا تنافى التنزيه	٧٦
العوام ومباحث الصفات فى العقيدة	٧٩
من شعب التكفير الكبر والعجب والاحتقار	٨٢

الموضوع	صفحة
المتكبر عدو ا لله	٨٤
من علامات الكبر	٨٦
العجب مفتاح الشرور	٨٨
آفات العجب	٩٠
العجب بالرأى الخطأ من فتن هذه الأمة	٩٢
التوحيد أعظم النعم وثمرته الطاعة	٩٤
الإيمان أحوج ما يكون إلى حسن التعهد والاحتياط	٩٥
الدعاء بالموت على الإيمان	٩٧
البشارة لأهل التوحيد بالنجاة والفوز	٩٨
لا يجوز البحث عن المنكرات المستورة	١٠٠
وجوب الحكمة فى الدعوة للحق	١٠٢
النهى عن التفرق والاختلاف	١٠٢
الخاتمة : فى بيان العقيدة التى بها النجاة	١٠٣
تفسير حديث : « رضيت با لله ربا »	١٠٤
نصوص نبوية فى بيان الإسلام وصفة المسلم الحق	١٠٦
أحاديث نبوية فى الموضوع	١٠٦
الفهرس	١٢٠

رقم الايداع
٥٩٩٩/ ٢٠٠٤

الترقيم الدولي
I - S - B - N
977 - 5259 - 78 - 9